دور الصادق (ع)

في : إمامة الإسلام والمسلمين



دور الصادق (ع)

في : إمامة الإسلام والمسلمين

عبدالحسين محمد علي بقّال



بسم الله الرحمن الرحيم

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ...)

النساء ٥٩

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ...)

الاحزاب ٣٣



المقدمة :



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على محمد و آله الطاهرين، و صحبه أجمعين. و بعد؛

فإنَّ من نافلة القول: التأكيد على أنّ العصر الحالي، عصر أملٍ وعودة وإشراقةٍ، لأولئك العاملين في الحقل الاسلاميّ خاصه، والساعين إلى تحقيق إنسانية الانسان عامّه، و بالخصوص بعد فشل الأنظمة الوضعيّة القائمة من جهة، و نجاح تسلم القيادة المرجعيّة، لدفّةِ الامور الحياتيّة، بقيام الجمهوريّة الإسلامية من جهةٍ ثانية.

غير أنّ الجوهر الاساس، الذي نَودّ خطّه هنا، هوأن يكون عملُنا مستهدفاً لرضاء الباري عزوجل، حُبّاً و تحنُّناً إليه.

كما نأمل من كلّ قارئٍ أن ينظر الينا — بكل مانكتب— من خلال هذا المنظار، حتى نستطيع عند ذاك، ان نلتقي على تجاوز الأخطاء بنقدٍ مدروس بنّاء، وأن يحمل أحدنا الآخر، على أكثر من محمل، يقف تَوفرُ حُسْن النيّة في مقدمتها.

و ماذاك ، إلاّ لكي نتمكن مع الايام، آملين شيئاً فشيئاً ،

المُضيّ في المُساهمة قُدُماً، نحو توحيد مسيرة المسلمين، في أقطار العالم كافّة، فكرياً وعاطفياً وسلوكياً، إجتماعياً و دولياً و عالمياً.

عِلْماً، بأنّي حين اَقول: المُساهمة في توحيد كلمة المسلمين، أُريد منها ماأَمكن، حيث أنّي في الوقت الذي أعترف فيه، بصعوبة تَجَرُّد الإنسان من تربيته و عقيدته، التي نشأ وأستمرعليها زماناً من عمره، أعتقدُ في الوقت نفسه: أنْ ليس في تصحيح و تغييرالافكار و تعديل السلوك من مستحيل،و أنْ ليس من الضروري أن تكون كلُّ عقيدة باطلةٍ،ولا كلُّ تربيةٍ فاسدة؛بل،قد .. وقد.. و تُعرَف الحقيقةُ متى ماأُعُرضت على محكّ العقل، والنقاش العلميّ المنطقي، و كانت الغايةُ منها نيلَ مرضاةِ الله.

بقي أن اقول: أنّ هذاالكتاب موزّع إلى: فصلين، وخاتمة، وفهارس.

أمّا الفصل الاول: فخاصٌّ بترجمة الامام؛ من جهةِ: نسبه، وأسرته،..

وأمّا الفصل الثاني: فوقوف على إمامةِ الاجتهاد؛ من حيثُ كونُه: امتداداً للإمامة، طبعاً، مع الفارق.

وأمّا الخاتمة: فمختصة بإمامة الإسلام والمُسلمين؛ من ناحية القيادة،...

وفي الختام، لايسعني إلاّ ان أقدّم شكري، للسّادة الذين ساهموا، في اسناد و نقدهذا العمل، فجزاهم الله خيرَ الجزاء، والسّلام على من اتّبع الهُدى.

****

الفصل الاول

في: ترجمة الامام
ونأتي عليها من خلال الحقول التالية:



الحقل الاول
في: نسبه

لعلّ من مِثل الكاتب، من يحتاج الى بيان نسبه، كي يُضفي على شخصه ظِلالاً من الأهمية، و يُعرف بأنّه ليس بالرّجل العاديّ، و يستفيد بذلك من ترسيس بارز مقوماته؛ و بالتالي فهو ليس بالرجل المجهول الأصل الاصيل.

أما بالنسبة لجعفر، الذي عُرف بالصّادق[1]، فهو في غِنى عن ذلك؛ وانما الآخرون من أجيال المسلمين، مِمّن جاءوا تِباعاً بعده هم الذين يعتز البعض منهم و يُفاخر، بأنّهم من صُلبه، أو مِمّن تربطهم به رابطةُ قرابةٍ أو صُحبةٍ أو انتساب عاطفةٍ أو مذهب، سواء أكان ذلك من قريب أم من بعيد، وحقّ لهم أن يفتخروا و يُفاخروا، لأنّ الرجل الصادق عظيم، والعظيم تهفو إليه قلوبٌ، وتشرأبّ نحوه أعناق، و كلٌّ به يدّعي الوصل، و كلٌّ يريدُ أن يمتّد اليه بسببٍ و أسباب.

١– ينظر: تقريب التهذيب: ص ٦٨، وشرح المواهب للزرقاني: ١/٥١، ومرآة الجنان: ١/٣٠٤، والتشريع الإسلاميّ: ص ٢٦٣.

أليس هو: الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، ابن الحسين أبي الشهداء، بن أبوالحسن المُجتبى؛ أريدُ علياً بنَ أبي طالب المُرتضى، وابنَ عمّ النبي المصطفى، وزوجَ ابنته البتول؟

أليس هو: ابنُ فاطمة – أمُّ فروة –، ابنةُ القاسم بنِ محمدٍ ابنِ أبي بكر، والتي أُمُّها اسماء بنت عبدالرحمان بن أبي بكر «رض»؛ ثم واضحٌ بعد هذا معنى قول أبي عبدالله الصادق: «وَلَدني أبو بكرٍ مرتين»[1]؟

١– ينظر: غاية الاختصار: ص ٦٢، وجواهر الكلام لابن وهيب: ص ١٣.

الحقل الثاني
في: تربيته

تُرى عن أيّ جانب يتحدّثُ الانسانُ هنا، من جوانب التربية التي يُراد للصادق، أن يُقَيِّم و يُثَمِّن على ضوء منها؟ أعَنْ جانبهِ الخُلقي، أم الفكري، أم العاطفي؟

أم عن جانبها القيادي: إنْ في مجالها السياسي، أم الثقافي، أم الاقتصادي، وغيرها من بقية المجالات؟

ولكن، بما أنّ الحديث عن كلّ مجالٍ من هذه المجالات، يحتاج وحده الى جُهدٍ دراسي خاصٍ به، لايَقِلّ تعدادُ صَفَحاتِهِ عن العشرات، بل المئات...

ولكن؛ بما أنّ الحديث في هذا الكتاب، في هذا الحقل و بقية الحقول، مفروض له وعليه، أن لايتعدّى حدود الاختصار[1].

ولكن، بما أن «الميسور لايترك بالمعسور»، وأنَّ «مالايُدرك كله لايُترك جُلّه».

١ــ للتوسع يُراجَع مِن مِثل: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، للعلامة أسد حيدر

عليهِ سأتناول الموضوع مُقيّداً بتلك القيود، ماوسعني الأمر إلى ذلك فأقول:

ليس من شك، في أن التربية بعناصرها المُهمّة المتعدّدة، وأعني التربية الاسلامية طبعاً؛ من: مبدأ توحيدي مُتكاملٍ، شاملٍ خالدٍ مع الزمن؛ ومن دولةٍ إسلاميّة تتبنى ذلك، وأُسرةٍ عريقةٍ رساليّة المُحتوى، وأبوّةٍ وأمومةٍ وعائلةٍ قُدوةٍ تعيش هموم الدّين، وتطلّعاتِ وواجبات ماتمليه عليها الشريعة.

ليس من شك، في أنّ هذه العناصر، مجتمعةً، كانت متمركزةً وبشكل متناسقٍ، في شخصيَّةِ أبويّ المُربي، وأُسرته، ومُريديه؛ وإن كانت هي بعد ذلك من جهةٍ ثانيه: تختلف في مُستوى تطبيقها؛ إن هي نُظر إليها، في آفاق المجتمع الذي ينتسب اليه، في المدينة المنوّرة، مدينة جدّه الرسول أم في بقيّة البُلدان الاسلامية؛ أو نظراليها من وجهة مدى مزاولة الأحكام الإلاهيّة، في سنيّ حُكم هذا الخليفة أم الذي جاء بعده، بين خلفاء الدولة الأمويّة والعباسيّة.

نعم، فعنصر القدوة لاشكّ عنده محروز، وقائم على أحسن وأكمل مايمكن أن يكون، سواء في سلامة العقيدة وقوتها، أم في السلوك التقويّ ونزاهته، أم في صِدق العاطفة وتأججها، أم في بقيّة الخصال الحميدة وآدابها[1]؛ تلكم الخصائص التى يُضرب بها المثل، إنْ هي رُجع بها إلى جدّه علي زين العابدين وسيّدالساجدين؛ وإنْ هي رُجع بها إلى أبيه الباقر، سَمِيّ محمّدٍ من أهل البيت؛ وإنْ هي رُجع بها الى أُمه، فاطمة مِن أهل الصديق.

وعُنصرا الحضانة فالحلقات الدراسية، بما يجري فيهما من تربيةٍ وتعليم، على أُسس مبدئيةٍ علميةٍ، منهجيّةٍ موسوعيّةٍ مُقننةٍ، فلا إشكال في أنّ البيت الهاشمي خاصه، والاُسرة الإسلاميه عامّه، كلتاهما بزعامة

١– ينظر: غاية الاختصار: ص ٦٢

أبيه والنخبة من صحبه الابرار؛ ضِف إلى ذلك المجتمع القرآني مهما حُكي عن سِماتِهِ، و بقيادة الحكومة الإسلاميه، مهما نُقل عن شرعيتها وصِحَّتها، لاإشكال في أنّ العنصرين كاناوراء خلق أرضيّته الصالحة، وتطلّعه نحوسمائه الرَّحبه، وتحمله مهام إسعاد شعبه وأُمّته الشاقة.

تلك هي العناصر، التي تقف في مقدّمة الاجواء، التي نجح أن يعيش فيها وبها ولها، فيتفوق سَبّاقاً إلى حدّ الكمال، حامل الشخصية الاسلامية الفذّة، في عصره ولعصر مابعده الامام جعفرالصادق، سليل ونتاج الأصلاب الشامخة، متأثراً ومؤثّراً، طالباً وأُستاذاً[1]، زعيماً وقائداً،...

هذا إن لم نَسِر مع اولئك، الذين يقولون بأنّه يحمل جرثومة الإمامة، منذ اللحظة التي انعقدت فيها نطفتُه، على اسم الله و بركته، ونما جنينه في رَحِم الطّهر والحنان؛ وأنه إمامٌ عالِمٌ متعلِّمٌ، مربِّي ومربَّى، منذ فجر حياته؛ وأنه بالتالي معصومٌ— في بيت عِصْمةٍ— من كلّ دَرَنٍ،ومؤهّلٌ لكل مكرمَةٍ،...

١— ينظر مِن مِثل: خلاصة الكمال: ٥٦، ٧٤، تارخ بغداد: ١٨٨/٨، تهذيب التهذيب: ٢٨٢/١—٧٦٠، الفهرست: ص ٣٠٨،...



الحقل الثالث
في: عصره
ونأتي عليه من خلال العناوين التاليه:

١ـ تحديد زمانه

وُلد أبوعبدالله جعفر الصادق عليه السلام سنة ثلاث و ثمانين، في ليلة الجمعة، في السابع عشر من ربيع الاول؛ وقيل: غرَّة رجب سنة ٨٠ من الهجرة عام الجَّحاف[١].

أما سنة ولادته: فقد كانت سنة ٨٠ هـ — ٦٩٩ م[٢]، وقيل: ٨٢هـ[٣] كماقيل ٨٣ هـ[٤]

ثم امتد عصره بعد ذلك إلى سنة ١٤٨ هـ — ٧٦٥م[٥]؛ السنة التي ارتحل فيها الى الرفيق الاعلى، مُودِّعاً بمثل قوله تعالى: «ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيّةٍ»[٦]

١ـ ينظر: اصول الكافي ٤٧٢/١: كتاب الحجّة، باب مولد أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، حديث ١؛ وأعيان الشيعه: ج ٤ ق ٢ ص ٢٩.

٢ـ ينظر: وفيات الاعيان: ٢٩١/١ الإتحاف بحب الأشراف: ص ٥٤، مرآة الجنان: ٣٠٤/١، الجمع بين رجال الصحيحين: ٧٠/١، والأعلام للزركلي: ج ٢ ص ١٢١.

٣ـ ينظر: قاموس الأعلام «تركي» ١٨٢١/٣

٤ـ ينظر: غاية الاختصار: ص ٦٢، وصحيح الاخبار: ص ٤٤

٥ـ ينظر: الأعلام للزركلي: ١٢١/٢

٦ـ سورة الفجر، آية ٢٧،٢٨

٢ـ بين عهدين

وأُريد بذلك: تاريخه الذي امتد، منذ أواسط الدولة الاموية، وحتى مطالع الدولة العباسيّة؛ التاريخ الذي عاصر فيه اثني عشرمَلِكاً: عشرةٌ منهم من ملوك بني أُميّة، يبدأون بعبدالملك بن مروان، الذي كان من أعظمهم و أشدّهم؛ واثنين من سلاطين بني العباس: عبدالله بن علي المعروف بالسفّاح، و أخيه أبي جعفرالمنصور المشهور بالدوانيقي.

ذلكم التاريخ، الذي اتصف— من بين ما اتّصف به—، بالكبت العقائدي والاضطهاد السياسيّ، خاصةً في أواسط الفترة الامويّة؛ كما اتّسم بالإنفراج السياسي بعضَ الشيئ والانفتاح الثقافي إلى حدٍّ ما، خاصّةً في مطالع الدولة العباسيّة؛ ناهيك من جانب ثالث، بروز معركة التوحيد واللّا توحيد على أشُدّها، والتي كانت الزندقةُ والدهريةُ من بين أعرف مُسمَّياتها، وكانت الترجمةُ عن موروثات الحضارات السّابقة، و تشجيع مَنْ يهمهم الامر لدُعاتها، من بعض مهم أسباب إنتشارها.

٣ـ موقفه السياسي

١

صحيح: أنّ الخريطة العالمية آنذاك، كانت تتوزّعُ بقاعَها، غالبيةُ الشعوب الاسلاميّة؛ غيرأنّ الدول غير الاسلامية، كانت تتحدد مواقفها السياسيّة، على ضوء من التريّث والتربّص والمهادنة؛ تلك الدول، والاوروبيّة منها بوجه خاص، و من خلال طابورها الخامس على وجه الخصوص، الذي ينتظر الفرصة للإساءة والايقاع بكل مايَمُتُّ الى الإسلام والمُسلمين بِصِلة، و بشكل مخطّط مدروس.

وصحيح: أنّ البقاع الإسلامية هنا وهناك، غالباً ما كانت

تعجّ بالمفارقات، خاصةً، مِن لَدُن عمالها، الذين يهمهم من بين أُمورٍ مهمة، توفير حصة السلطان من الخراج، الحصة التي كانت مُجحِفة وغير عادِلة وعلى حساب الإسلام[1]، لالشيئ اِلاّ من أجل خدمة العرش، وتحقيق اغراضه الشخصية، في اللّعِب على حسب هواه[2]، وكتم أنفاس المعارضة واِسكات كل مايصطدم ومبتغاه[3].

ولكن من الصحيح أيضا: أنّ صادق القول والعمل، لم يكن بمِعْزَلٍ عمايجري هنا أو هناك.

أليس هو القائل لولديه موسى و عبدالله: «إرجعا، فما كنتُ بالذي أبخلُ بنفسي و بكما عنه، واستمرّ ابناه اِلى جانب النفس الزكية حتى لقي حتفه»[4]؟

أليس هو القائل للخليفة المنصور: «.... من يريد الدنيا لاينصحك، و من يريد الآخرة لايصحبك»[5]؟

بل، انه كما كان يفهم السياسةَ بمختلف أفانينها، ويعي الدور المُناط به إزاءها، فإنّه كان يتعامل معها ليس بمعناها التقليدي المصلحيّ، واِنّما بمعناها الإسلامي الرعائي؛ بمعنى: «... كلكم راعٍ وكلكم مسئوول عن رعيّته..»[6]؛ بمعنى: أنها تمثل عِلماً ينطلق من خُلُقٍ مبدئيٍّ واضحٍ مُحَدَّد.

وأنها — من بين أمور كثيرةٍ عنده — لا تعدو عن كونها وسيلة لاغاية، مهما تلونّت بدماء الشهداء، في سَبيل تحقيق استقامتها، و تحملت

١— ينظر مِن مِثل: النجوم الزاهرة: ٢٣٢/١، والعقد الفريد: ١٨٠/٣

٢— ينظر من مثل: مروج الذهب: ١٨٥/٣، والإنافة في مآثر الخلافه: ١٥٦/١، وتاريخ ابن كثير: ٢/١—٦، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٧٨/٥

٣— ينظر: تاريخ الطبري: ١٢٢/٨، والكامل لابن الأثير: ٢٤٢/٥—٢٤٧

٤— مقاتل الطالبيين: ص ٢٧٧

٥— وفيات الاعيان: ص ١١٢—١١٣

٦— صحيح مسلم: ١٤٥٩/٣؛ كتاب الإمارة، حديث ٢٠

أعصاب المناضلين عنها من مشاقٍ، جرّاء الكشف عمّن يُريد بها الى غير وِجهتها....

وأنّ كلّاً من الغاية والوسيلة في شِرعته، شريفة بشرف الاخرى، وبالتالي ليس من مذهبه القول: بأن الغاية تُبرّر الواسطه.

بل، وإنه فوق هذا وذاك، كان يعتبر الامور بنتائجها، وبمقدار ماتحقق رضا الله عن عباده، وفق حساباتٍ شرعيّةٍ دقيقةٍ، وأُفُقٍ مستقبلي مأمون الجانب...؛ كشف التاريخ عن صِحّةِ مواقفه منها، لمصلحة الاسلام والمُسلمين.

تُرى، أليس هو الذي حَكّم الشريعة في كل موقف وقفه؟

أليست هي الشريعة التي تزخر بكل معاني الحب والشرف والنبل،؟

ولِمَ زالَ الملك الاموي والعباسي، إن كان على حق في الخلافة الإسلامية، والملك يومئذٍ للواحدِ القهّار؟

وعليه، فإنّ كُلَّ لفظةٍ أولفتةٍ، مِن صادقِ العَلَن والسَّريرة، كُلَّ تقيّةٍ أو توريةٍ، جوابٍ أو احتجاجٍ، اسنادٍ أومعارضةٍ، قبولٍ أو رفض،...؛ إنّما يكشف عن موقف الاسلام، عماً وقع من أحداثٍ، في مثل ذلك الظرف؛ أوعلى الاقل، كمايفهمه الصادق منه؛ الصادق الذي تشرّبت روحه، وتميزسلوكه بنصرةِ الاسلام وتطبيقه.

هذا إذالم نذهب مع مقولةِ من يقول: بأنّه كان على التزامٍ مُسبَق، بكلّ مايكابد ويُعاني، ماينطق به أو يسكت عنه، مايبتعد عنه أو يشارك فيه، ما ينصرف اليه من عبادةٍ واعتكاف، ما يستعيض عنه بقراءةٍ وتدريس.

٢

أجل، فيمايبدو لي: تلك هي الخلفيّة السياسيّة، التي ينطلق منها ويتحرك على أرضيتها، الامام الصادق.

واذاكان للكلام منطوق ومفهوم كمايقولون؛ واذاكان التاريخ لم يُكتَب من زاوية المستضعفين، وانّما غالباً لخدمةِ الكبار المستكبرين؛

واذا كانت المراجع التاريخيّة، المشهورة منها والمتداولة، ساكتةً بالخصوص عن حياة الصادق السياسية، خاصّة مايتعلق منها بالعهدالامويّ؛ واذا كانت المصلحة الإسلامية العليا، تجعل استلام الحكم من قبل الامام، وفي مثل تلك الظروف بالذات، ليس بالأمر المأمون العواقب، وانما تقضي بمراقبة الموقف بعين الحَذِر، وتفويت الفرصة على الحاكمين من تنفيذ شرورهم ماأمكن، واذا كانت الساحة النضاليّة، و بقيادةِ الامام المُفترض الطاعة، سانحة بشكل أضمن وأمن، للجهاد التدريسي لاللصراع السياسي، فما المانع ان ينصرف الامام، الى ماهو مُبرِئ لذمته شرعاً، ونافعٌ لمجتمعه شريعةً، وكان منه ذلك؛ حتى وصل الامر لأن يُقال عنه: «ولم يكن له شأن مافي عالم السياسة، ولكنه عُرِف بدرايته الواسعةِ بالحديث...»[1].

و اذا كان استعراض الموقف السياسي، على الاقل هنا وبمثل هذه العُجالة، يُعتبرثانوياً غيرأساسي، فيما لوأُخذ بالمقارنة إلى، تكوين صورة مناسبةٍ، عن مهمات الصادق المرحليّة، ومفهوم امامته للإسلام والمسلمين.

ازاء مثل هذه الحاله، فإني، مُسبقاً اعتذر من الصادق نفسه، في أن اكتفي بسرد موجز للتواريخ التالية، آمِلاً في أن يستفاد منها في المقام، ولو بصورة غير مباشره.

وكُلّي أمل، في أن يتمكن القارىء العزيز، معتمداً على وعيه المبدئي وحنكته السياسيّه، في أن يستنطق النصوص القادمه، وأن يتعرف من خلالها، على نوعيّة العصرالذي عاشه هذا المجاهد، وأنواع المعاناة التي تعرض لها حيال أحداث تلك الايام، إنْ هو وإنّ أصحابه، وبالتالي صِحّة المواقف التي تبنّاها، في كل مُراقبةٍ أو مواجهةٍ تعرّض لها، من السلطات الحاكمة آنذاك.

١ــ دائرة المعارف الاسلاميه: ٦/٤٧٣ــ٤٧٤

٣

أجل، إنّ من الامور البديهيّة القول:

أ/ انه عليه السلام، وُلِد في خلافة عبدالملك بن مروان، هذا الرجل الذي بعد أن كان يُجالس العلماء، ويحفظ الحديث الشريف، و يتعبّد في المسجد الحرام، و يتقشّف في مُتع الحياة، و يُنكِر مثلاً على يزيد بن معاوية، في حربه لابن الزبير، يكون هوالذي يأمر بنفسه قتل ابن الزبير[١]، وتحت حمايته قَذفَ الجيشُ الاموي بقيادة الحجاج، مكةَ والكعبةَ، بالمنجنيق[٢].

أليس هو ذلك الرجل الذي قال عنه الحسن البصري: ما أقول في رجلٍ الحجّاج سيئة من سيئاته[٣]؟.

أليس الحجاج هو ذلك الرجل الذي قال عنه عمر بن عبدالعزيز: لوجاءت كلُ أُمةٍ بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم[٤]؟ وقال عنه عاصم: مابقيت لله عزوجل حرمةٌ إلاّ وقد ارتكبها الحجاج.[٥]

تُرى، ألم يرَ الصادق أم لم يُنقَل له: كيف أنَّ هذا الخليفةَ الاموي، حمل مربيه الاول، حمل جدَّه الامام زينَ العابدين وسيدَ الساجدين، مُقَيّداً من المدينة الى الشام، كما حدّث بذلك الحافظ ابونعيم[٦].

ب/ و عاصر الوليد بن عبدالملك، هذا الرجل الذي بنى الجامع

١ـ ينظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي: ٣١٧/٣

٢ـ ينظر: الكامل لابن الاثير: ١١٤/٤، ومروج الذهب للمسعودي: ٥/٣

٣ـ ينظر: تاريخ أبي الفداء: ٢٠٩/١

٤ـ ينظر: الكامل لابن الاثير: ٢٣٦/٤ـ٢٧١

٥ـ ينظر: تاريخ ابن كثير: ١٣٢/٩، تاريخ الطبري: ٩٥/٨، تاريخ ابن خلدون: ٦٥/٣، سرح العيون لابن نباته: ص ٩٦، تهذيب ابن عساكر: ٧٠/٤، ٨٠، مروج الذهب: ١٨٧/٣.

٦ـ ينظر: حلية الاولياء: ١٣٥/٣

الاموي، و وسّع المسجد النبوي وزخرفه و نمّقه، وجعله آيةً في الفن والسّعة، «لحاجةٍ في نفس يعقوب»، فكان مفخرةً عمرانيةً؛ ولكن، لمصلحةِ مَنْ وعلى أكتاف من؟[1].

ألم يكن هوالمخطّط الرئيسي لدسّ السُّم للامام زين العابدين؛ أومِمّن كان على علمٍ تامٍّ بأمر تنفيذه، كما ذكر ذلك جماعةٌ من الحُفّاظ والمؤرّخين كالقُرماني في تاريخه، و ابن حجر في صواعقه، و ابن الصبّاغ المالكي في فصوله المهمّة، و ابن جُرير في دلائل الامامة، و الحافظ النيسابوري في روضةِ الواعضين[2].

ج– وعاصر سليمان بن عبدالملك، هذا الرجل الذي اشتهر عنه قوله: «احلبْ الدَّرّ حتى ينقطع، و احلبْ الدّم حتى ينصرم»؛ قوله لعامله أسامةِ بن زيد التنوخي، عامله على خراج مصر[3].

أليس هوالذي غضب على موسى بن نُصير، فعذّبه أنواع العذاب، وقتل ولده عبدالعزيز المُتَّصف بالزّهد والصلاح، وعرض رأسه على والده؛ وماذاك إلاّ لولائه لآل بيت محمد (ص)[4]؟

د/ وعاصر عمر بن عبدالعزيز، هذا الرجل الذي وجد الناس في عهده عدلاً فقدوه زماناً، و استراحوا في أيامه القليلة، مِمّا كانوا يتحملونه من ظلم وتعسف، وجور في الحكم، واستبدادٍ في الأمر من حُكّام سبقوه[5]، واعتدالٍ في الولاء، بين بيته الاموي و بين حُبّه

١– ينظر: الإنافة في مآثر الخلافة: ١٣٦/١، ومختصر تاريخ البلدان لابي بكر المعروف بابن الفقيه: ص ١٠٧، والدرّة الثمينة لابن النجار: ص ٨١، ٨٥، وتاريخ ابن كثير: ج ٩ ص ٧٤–٧٦، وتاريخ الطبري: ٦٥/٨، وتاريخ اليعقوبي: ٢٠٩/٢، ٣٥/٣

٢– ينظر: الامام الصادق والمذاهب الاربعه: ١١٤/١

٣– ينظر: النجوم الزاهرة: ٢٣٢/١، والجهشياري: ص ٣٢

٤– ينظر: الامام الصادق والمذاهب الاربعه: ١١٧/١

٥– ينظر: المصدر نفسه: ١١٨/١

العلوي[1]، ناهيك عن سعيه المتواصل، في إعادةِ الخراج الى وضعه الشرعي[2].

هـ / وعاصر يزيد بن عبدالملك، الذي فكّر في أن يسير بسيرة عمربن عبدالعزيز[3]، غير أنّه لم يتوفَّق، بل لم يراقب الله في حكمه، ولم يخشه في أوامره[4]، فأعاد الخراج الى سابق ظلمه[5]؛ بل، وقد انتهى في حياته غيرَ مأسوف عليه، أسفاً قاتِلاً على جاريته و مُغنّيته حبّابه[6].

و/ وعاصر هشام بن عبدالملك، الذي قُرِنَ بمعاوية وعبدالملك، دهاءً في جانب وغِلظةً في آخر؛ وهو هو من عُرِف في عدائِه، الذي لايرحم لِآل البيت؛ و ماقِصّته مع جَدّ الصادق زين العابدين، بحضور الشاعر الفرزدق، في «هذا الذي تعرف البطحاء وطأته»، بالقضيّة العاديّة، و ماسؤاله لوالد الصادق عن «غذاء المحشر»، وجواب الباقر «هم في النار أشغل»، بالواقعة الخافية على تاريخ، و ما إشخاصه لوالد الصادق، مع ولده الصادق إلى دمشق، إثْرَ صيحةِ الصادق المكيّة المدوّية، «نحن صفوةُ الله من خلقه، وخيرته من عباده وخلفائه، فالسعيد من تبعنا، والشقيّ من عادانا»، بالمسألة المجهولة السَّند[7].

أليس هوالذي ضرب المثل في الحقد والكراهيّه، بإبقائه على جسد أحد مواطني مملكته، بتعليقه منكوساً بعد قطع رأسه، مصلوباً ولمدّةِ أربع سنوات[8]؟ ذلك المواطن المؤمن الحُرّ الجريئ[9]، زيد آل البيت

١ــ ينظر: مروج الذهب: ١٩٤/٣، وطبقات بن سعد: ٣٣٣/٥

٢ ــ ينظر: الكامل لابن الاثير: ٢٩/٥، وتاريخ الطبري: ١٣٩/٨

٣ــ ينظر: تاريخ ابن كثير: ٢٣٢/٩

٤ــ ينظر: سمط النجوم العوالي: ٢٠٩/٣

٥ــ ينظر: العقد الفريد: ١٨٠/٣، والكامل في التاريخ: ٢٢/٥

٦ــ ننظر: الإنافة في مآثر الخلافة: ١٤٦/١، والبدء والتاريخ: ٤٨/٣

٧ــ ينظر: الامام الصادق والمذاهب الاربعة: ١٢٣/١ــ١٢٤

٨ــ ينظر: زيدالشهيد للمُقرّم: ص١٦٢ــ١٦٤

٩ــ ينظر: تاريخ الطبري: ج ٨ حوادث سنة ١٢١، وتاريخ ابن عساكر: ٢٢/٦ــ٢٣، والنجوم الزاهرة: ٢٨١/١، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٣٢٣/٦

المُفترَى عليه الشهيد[1]، الذي أبّنه الامام بكلماته البليغة، ولَعَن قاتله[2].

ز/ وعاصر الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فرعون عصره[3]، الفاسق الخليع الماجن[4]، الجريئ على الله بتمزيقه كتابَ الله[5].

أليس هوالقائل:

تهـــددّ كلّ جبّـــارعنيدٍ	فها أنا ذاك جبّـــارعنيد
إذاماجئتَ ربَّكَ يوم حَشرٍ	فقُلْ: يارب خرَّقني الوليد[6] ؟

أليـس هـو: قـاتـل يحيـى بن زيد، وصالبه بالجوزجان، وبقي مصلوباً حتى ظهر أبومسلم الخراساني، واستولى على خراسان. [7] ؟

ح/ وهكذا استمرت المسيرة، مع بقيّةِ مَن بَقي، مِن خلفاء بني اُميّـة؛ مـن يزيدبن الوليد، المُسمَّى بالناقص، لأنّه نقّص الزيادة التي كـان الـولـيد زادها في عطيّات الناس[8]؛ وابراهيم بن الوليد، الذي ولي الامر بـعـد أخيه، بعهدٍ من يزيد بواسطة مولاه «قَطَن» مُزوَّر[9]؛ وآخرهم مروان بـن محـمـد، المُـلـقَّب بالحمار، والذي به انتهى الحكم الاموي، وانـتـقـل الامـر مـن بـعده الى بني العباس، وتفرّق الامويون في البلاد، وكـانـوا طـعـمـة للسيف، وزالت دولتهم بعد أن حكمت البلاد، احدى وتـسـعين سـنـة وتـسعة أشهر؛ وقامت على انقاضها الدولةُ العباسيّة، بعد

١ــ ينظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٣/٦، الدولة العربية الإسلاميّة: ص ٣٠٥ وتاريخ الطبري: ٢٧٧/٨

٢ــ ينظر: الامام الصادق والمذاهب الاربعه: ٣٧/١

٣ــ ينظر: تاريخ الاسلام للذهبي: ١٧٣/٥

٤ــ ينظر: جوامع السيرة: ص ٣٦٣، الإنافة في مآثر الخلافة: ١٥٦/١، تاريخ ابن كثير: ٢/١٠ــ ٦، البدء والتاريخ: ٥٣/٣، تاريخ الاسلام للذهبي: ١٧٨/٥.

٥ــ ينظر: تاريخ الاسلام للذهبي: ١٧٣/٥

٦ــ ينظر: البدء والتاريخ للمقدسي: ٥٣/٣، تاريخ الخميس: ٣٢٠/٢، الكامل لابن الاثير: ١٣٧/٥، الحورالعين لابن نشوان: ص ١٩٠

٧ ــ ينظر: الكامل لابن الاثير: ١٢٧/٥

٨ــ ينظر: تاريخ الطبري: ٦٠/٦

٩ــ ينظر: العقد الفريد: ١٩٤/٣

حروبٍ طاحنةٍ دامتْ مدةً من الزمن[1].

ط/وعاصر ابَوسلمة الخلاّل، الذي لمّا عَرَف نوايا بني العباس، عزم على العدول عنهم الى بني علي؛ وطبعاً؛ الى مركز الثّقَل، الى صادق اهْل البيت؛ غير أنّه جُوبةَ منه عليه السلام بالرّفض، قائلاً: مالي ولأبي سَلَمة وهوشيعةٌ لغيري...[2].

ى/ وعاصر السفاح، هذا الرجل الذي كان يتظاهر بالعطف على ابناء عمه، و يتحمس لِمَا نالهم من الأذى، وماحَلّ بهم من نكبات في العهد الاموي، و يُعلِن بأخذ ثارهم والإنتقام من عدوهم...[3].

ك– وعاصر المنصور، هذا الخليفة الذي لقي منه الامام الصادق الامَرّين[4]، وكم وكم حاول قتله[5]؛ وكان يصف الامام: بأنه الشجى المعترض حلقه[6]، حتى كانت النهاية دسّ السم له، فمات عليه السلام مسموماً[7]، ولكنه ظل وسيظل، فائزاً بدينه، منتصراً في تاريخه و إنسانيته.

ل/ وأخيراً، لِمَ كان الاماميون من أهل بيت النبي وصحابتهم وامامهم الصادق؟ لِمَ كانوا مُستهدَفين من قِبل السلطة الحاكمة آنذاك أُموية وعباسيّة، من هذا الخليفة وذاك ، ومن ذلكم الوالي وهذا؛ إذا

١– ينظر: الامام الصادق والمذاهب الاربعة: ١/١٣١–١٣٢

٢– ينظر: الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ١١١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص، ١٣٨، مروج الذهب: ٢٦٨/٣.

٣– ينظر: الامام الصادق: ٤٦٣/١

٤– ينظر: نورالابصار: ص ١٤٦، ٢٤٧، مقاتل الطالبيين: ص ٢٥١، ٢٧٣، زُهر الآداب للحُصري: ١٢٣، وصفوة الصفوة لابن الجوزي: ٩٧/٢.

٥– ينظر: النجوم الزاهرة: ٦/٢، عيون الادب والسياسة لابي الحسن علي بن عبد الرحمان ابن هُذيل: ص ١٦٣، وجعفر بن محمد لسيّد الاهل: ص ١٤١، ومقاتل الطالبيين: ص ٢٢٥ ومابعدها.

٦– ينظر: تاريخ اليعقوبي: ١١٧/٣

٧– ينظر: صحاح الأخبار: ص ٤٤

لم يكن الصادق في مستوى المهمة الرئاسيّة، خَلْقاً وخُلُقاً ، وعياً وشعبيّةً، سياسة وقيادة؟

وقد يُقال: إنك ماذكرت لاولئك الخلفاء إذْ ذكرت اِلاّ سيّئاتهم؟ وأقول: هب أنّ هناك لهم حسنات؛ ولكن، ألايشترط فيها أن تكون قائمةً، على قاعدة «إنما الاعمال بالنيات»[1]؟

وهل مثلاً: مَنْ يذهب الى عظمةِ الجامع الاموي في بنائه وتصميمه، و يطّلع على الخلفيّة المنو يّة وراء تأسيسه؟ أتُراه يعتبر مثل هذا العمل– وإن خلبت صورته الألباب–، عملاً اِسلامياً يُرضي الله، و يعمل على سعادةِ عبادِ الله؟

و إذا كان ذلك الموقف، الذي وقفه الحكام اتّجاه المعارضة، هوأمرٌ طبيعي تقوم به كل دولة؛ ترُى، هل يكون ذلك بمعيار الإسلام أم اللااسلام؟ وماهي الجناية التي ارتكبوها؟ ولم تعددت الثورات والفتن والانشقاقات والتكتلات؟ ولِمَ تلك الاعمال المنكرة التي قام بها أزلام النظام الحاكم آنذاك؟ ولِمَ آلت الدولة الامو يةُ الى ما آلت اليه؟ ولِمَ انتهت العباسيّة رغم طول سِنيِّها؟ ألم تنتهي الى تلك النهايةِ المُرعبة الرهيبه، التي فاقت بشرورها ومآسيها، كلَّ تلك السنين التي حكمت بها؟ ثم، هل التوسع في فتح البلدان، وإقامة القصور المشيدة، والإرتماء في أذرع الغواني، وحر ية فكر اللااسلام على الاسلام؟ هل مثل تلك الاعمال، وماتؤول اليه من نتائج، هي السياسة التي تتفق مع ماير يده الله من شعب الله؟ هل مِن مبرّر لأن ترتوي باسم الإسلام، فئةٌ على حساب فئات، وتشربَ كؤوسَ النشوة جماعةٌ، على نخب مآسي طبقات وطبقات؟ وأن يتجاوز الشر يعةَ البعض مثلاً، لا لرفع الجز ية تشو يقاً في الإسلام، كما يُر يده الاسلام؛ وإنما لوضعها على مَنْ يدخل في رحاب الإسلام، خلافاً لما يُر يده الإسلام.

١– ينظر: صحيح مسلم: ١٥١٥/٣؛ كتاب الإمارة، حديث ١٥٥

٤ــ دوره الثقافي

إذا كانت الثقافة تعني: الأخذ من كلِّ شيئٍ بطرفٍ، فإنّ الصادق الصدوق: أخذمنها بكلِّ طرف، وهذا له مايبرِّره من وجهة المعتقد الإمامي، و يقرّه من وجهةِ واقعه التاريخي.

و إذا كان الحديث عن دوره هنا، لايتأتّى لنا معرفته كاملاً، الاّ بعد التعرّف على أساتذته و تلامذته، والعلوم التي لعب دوراً قياديّاً فيها، و غيرذلک من أسباب وعوامل، فإن الصادق الصدوق، سنقتصر هنا على عطائه لها ــ وإلى الحقل القادم ــ، بالتركيزعلى قيادته للجانب الفكري؛ سواء في المدرک لأُصول الفقه مذهبيــاً، بين الاماميّين وغيرالاماميّين؛أم في المعترک لأصل العقائد مبدئيّاً، بين المسلمين وغيرالمسلمين.

و إذا كان لابُدَّ من ذكرالسبب، لمثلِ هذا الاقتصار والتخصيص؛ فإنه إنّما يقوم على اعتبار التشابه، بين عصر الامام و عصر القرن العشرين؛ أعني: من جهة ترجمة الفلسفات غير المدروسة، وغياب الخَلفية الخُلقيّة الإسلامية عنها؛ فانتشار الإلحاد، حتى عادت له دولــة و دولة وأحزاب، تتبناه و تدافع عنه، وِفق خِططٍ وأحزابٍ مُقنَّنه...

١ــ من مواقفه المذهبيّه

وهي كثيرة

بيْدَ أنّ مناظرته مع أبي حنيفه، بخصوص القياس أو مشروعيته، ثم عِظَمَ أثر ذلک في استنباط الأحكام، و انعكاساته على بقيةِ العلوم الإنسانيّه..؛ إنّها تكشف عن أهميّة المناظرة من جهة، وتكشف من جهةٍ ثانيةٍ عمّا يحمله الصادق، من جوابٍ تُراثيّ رِســاليّ، بهذا الصدد و ذلكم الظرف؛ وأُريد بها تلك التي وردت كالآتي:

إنّ ابا حنيفة، و عبدالله بن أبي شبرمة، و ابن ابي ليلى، دخلوا

على جعفر بن محمد الصادق، فقال لابن أبي ليلى: مَنْ هذا الذي معك؟ قال: هذا رجلٌ له بصر ونفاذ في الدين.

قال: لعله يقيس أمرالدين برأيه؟ قال: نعم.

فقال جعفر لأبي حنيفه: مااسمك؟ قال: نعمان؛ قال: مأراك تحسنُ شيئاً؟

ثم جعل يُوجّه إليه أسئلةً؟ فكان جواب أبي حنيفه: عدمَ الجواب عنها، فأجابه الامام عنها.

ثم قال: يانعمان، حدّثني أبي عن جدي: أنّ رسول الله «ص» قال: أوّل من قاس أمرالدين برأيه ابليس؛ قال الله تعالى له: «أسجدلآدم»، فقال: «أناخير منه خلقتني من نار و خلقته من طين»[1]؛ فمن قاس الدين برأيه قرنه الله يوم القيامة بابليس، لأنّه اتّبعه بالقياس.

قال ابن شبرِمة: ثم قال جعفر: أيّهما أعظم قتل النفس أوالزنا؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس؛ قال الصادق: فإنّ الله عزوجل قَبِل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا اِلاّ أربعه.

ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال ابو حنيفة: الصلاة؛ قال الصادق فما بالُ الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك؟ اتّقِ الله ولا تقِس الدين برأيك[2].

ب/ من مواقفه المبدئيّة
وهي كثيرة أيضاً

—١—

غيرأنّ الذي اَوَدُّ قوله هنا: أنّ الإنسان أيَّ إنسانٍ يُراد منه أنْ يفهم الإسلام، لابُدَّ أن يكون المنطلق له من قاعدة التوحيد.

١— سورة الأعراف، آية ١٢؛ وسورة ص، آية ٧٦

٢— ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني: ٢٨/١، وحُلية الاولياء: ١٩٣/٣، ١٩٧

و أنّ الإنسان أيَّ انسانٍ يُرادُ له أن يُد حَضَ بماعنده، لابُدّ أن يكون المنطلق من قاعدة التوحيد.

و أنّ الإنسان أيّ انسانٍ يُرادُ به أن يسمو لفعلِ كُلِّ خيرٍ، لابُدّ أن يكون المنطلق من قاعدةِ التوحيد.

و أنّ من يُر يد أن يُثبت حقائقَ الاسلام لجاهليه و مناوئيه، وفي مختلف فروعه، من فقهٍ وأصول وأدب و تار يخ، لابُدّ أن يكون المنطلق من قاعدةِ التوحيد، و بمقدار وضوحها والإيمان بها، و لابُدَّ أن يكون على غرارِ توحيد الصادق المفضَّل، الذي يُناظر فيهِ من مثل ابن أبي العوجاء كماسيأتي فيمابعد.

٢

وعلى هذا الضوء، نفهم: كيف أنَّ سليل الصدق، كان في الوقت الذي ينقد و يوجّه آراء المذاهب الاسلاميه؛ كان في الوقت نفسه يُناضل من أجل اعلاء كلمة الله في توحيده، و توحيد كُلِّ ماهو اسلامي قِبال المبادئ اللااسلاميّه، ذلكم النضال الذي تُوِّج بتكثرِ وتلوّن مناظراته بهذا الصدد و ذلكم الظرف، قبالة أولئك المُسَمّين بالزنادقة والملاحدة والدَّ هر يين.

٣

وليس من شكٍّ، في أنّ قيامَ مثلَ تلك الموجةِ الإلحاديّة، لم تكن بالمسألة العفو يّة، و إنما ساهمت في ظهورها وعُلوِّ صوتها، جملةُ عواملٍ منها:

النِّهايةُ غيرُ المشرِّفة لخاتمة الدولة الامو يّة، والمعارضة القو يّة المستورةُ في مطالع الدولة العباسيّه، وتسيّب الاوضاع جرّاء ذلك، نتيجةَ ضعفِ أوانشغالِ القيادة عن القاعدةِ الشعبيه.

ناهيك عن كثرة المردودات، الحاصلة بسببِ المواقف اللاإسلاميّه، التي تكدّست شرورها مع الآيّام، إنْ بقصدٍ من فاعليها أو

بغيرِ قصد؛ والتي يُعتبر القلقُ الفكريّ والضياعُ الإجتماعي بعضاً من نتائجها.

بل، إنّ الفئات غيرالاسلامية— وربما أساء البعضُ اليها— ، هي الأُخرى لم تُقصّر من جانبها في مواصلة التغذية، لكلّ مايهدم كيانَ المسلمين في إسلامهم، سواء على المدى القريب أم البعيد، حتى صرنا يومنا هذا الى ماصرنا اليه.

ثم ما قامت به السلطةُ الحاكمةُ آنذاك، سواء أكانت أمويةً أم عباسيّةً، من إشغال الناس بقضايا جدليَّة، لايُرتجَى منها سوى تعقيد الناس وصرفهم عن محاسبتها في تجاوزاتها؛ كماهو الحال في ظهور الاعتزال، وقضيّة الهندي مع الصادق في محضرالمنصور.

هذا كله، بالإضافة الى التعتيم الفكريّ، وكَمِّ الأفواه العالمة، التي تقدر وحدها على ردّ، جميع الافكار اللا إسلاميّة المستورده...

وأخيراً وليس آخِراً: المخلّفات العكسيّة، التى نتجت جرّاء فتح باب الترجمة على مصراعيها، من دون تخطيطٍ مدروسٍ مُسبق، قائم على خلفيّةٍ مبدئيّةٍ فكريّة خُلُقيّة شاملةٍ محُدَّده.

٤

يقول لاوند: لقد وُجد يومئذٍ من يُنكِرُ وجودَ الله، مستعيناً على اثبات وجهةِ نظره، بالمنطقِ اليوناني والتراث الافلاطوني الحديث أيضاً؛ ووُجِد يومئذٍ مَن يحمّل الانسان مسئوليةَ عمله، ويبرّؤه من كلِّ إثْمٍ وقد استعان كلّ منها بالمنطق اليوناني أو بالتراث اللاهوتي، الذي عرفته مدارس الاسكندريّة والرَّها وقِنّسرين، أوغيرها من مدارس الشرق الاوسط.

وأصبحَ الإسلامُ في حاجةٍ ماسّةٍ، إلى من يدفع عنه شُبُهات الزنادقة والدهريّة، وخصومهِ من سَدَنةِ الأديان الاخرى.

أصبح الاسلامُ في حاجةٍ إلى من يكشف عن روعةِ التوحيد فيه،

ومعنى المسؤوليةِ الأخلاقيةِ عنده، ومعنى الحشر والحساب والعقاب والجنّة والنار، الخ

فظهرت التيارات المختلفة، وارتسمت في آفاقِ الفكر الاسلاميّ، المذاهب المُتَبَاينة في وسائلها، والمتفقة في أهدافها و مقاصدها؛ فسُميِّت مجموعة هذه الاجتهادات، والدفوعاتِ المبنيّة على المنطق المنظّم والاستدلال العقلي، بعلم الكلام»[1]

وازاء كُلّ التيارات تلك، فقد تصدّى لها صادقُ الفكر، مُفَنِّداً لأسقامها ومبرِماً لماعنده بما يدحضها و يقوم مقامها؛ وهوماسوف نأتي على بعض صوره، من خلال المناظرات التاليه:

أولا: مع الجعد بن دِرهم

و بلغه عليه السلام مقالةُ الجعد بن درهم وهي: أنّه جعل في قارورةٍ تُراباً وماءً، فاستحال دوداً و هواماً؛ فقال الجعد: أنا خلقت هذا، لأنيّ سبب كونه.

فقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ليَقُل: كم هي؟ وكم الذُّكران والإناث إنْ كان خلقها؟ و كم وزن كل واحدةٍ منهن؟ وليأمر الذي سعى إلى هذا الوجه أن يرجعه إلى غيره[2].....

ثانيا: مع الديصاني

دخل أبوشاكر الديصاني— وهو زنديق—على أبي عبدالله عليه السلام، وقال: يا جعفر بن محمد دُلنّي على معبودي!

١— الامام الصادق علم وعقيدة: ص ١٧٩—١٨٠
٢— لسان الميزان: ١٠٥/٢

فقال أبوعبدالله: اجلس، فإذا غلام صغير، في كفه بيضة يلعب بها، فقال أبوعبدالله: ناولني ياغلام البيضة، فناوله إياها.

فقال أبوعبدالله: ياديصانيّ، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، و تحت الجلد الرقيق ذَهَبَةٌ مائعة، وفضّة ذائبة، فلا الذَّهَبةُ المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبةُ تختلط بالذَّهبة المائعة؛ فهي على حالها، لايخرج منها خارجٌ مُصلحٌ فيُخبرعن صلاحها، ولايدخل إليها داخل مُفسد فيخبرعن فسادها، ولايدري للذكر خُلِقت أم للانثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أتُرى له مُدبّر؟

فأطرَقَ مليّاً ثم قال: أشهدُأن لااله الاالله، وحده لاشريک له؛ وأشهدأنّ محمداً عبده ورسوله؛ وأنّکَ إمام، و حُجَةٌ من الله على خلقه، وأنا تائب مماكنت فيه[1].

ثالثاً: مع الهندي

قال الربيع: قرأ هنديٌّ عندالمنصور كُتُبَ الطب، و عنده الصادق عليه السلام، فجعل يُنصِت لقراءته، فلمّا فرغ قال: ياأبا عبدالله أتريدُ ممّا معي شيئاً؟ قال: لا، لأنّ معي خيرٌ مما هومعک.

قال: ماهو؟ قال: أداوي الحار بالبارد، والبارد بالحار، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأردُّ الامرَ كله الى الله، واستعمل ماقاله رسول الله (ص): واعلم ان المعدة بيتُ الأدواء، وأنّ الحُمية هي الدواء، وأعوِّدُالبدنَ مااعتاد، قال: وهل في الطب اِلاّ هذا؟

قال الصادق عليه السلام: أفتراني عن كتب الطب أخذت؟

قال: نعم

١— ينظر: الاحتجاج للطبرسي: ص ١٨١، والصادق للمظفر: ٢٣٣/١.

فقال عليه السلام: لاوالله، ماأخذت إلاّ من عندالله سبحانه و تعالى، فأخبرني أنا اعلم بالطب أم انت؟ قال: بل أنا.

قال: فأسألك؟ قال: سل، فسأله عشرين مسألةً وهو يقول: لاأعلم.

فقال الصادق عليه السلام: لكني أعلم، و هذه الأجوبة

كان في الرأس شؤون، لأنّ المجوَّف إذا كان بلافصل، أسرعَ اليه الصدعُ؛ فاذا جُعِل ذا فصول كان الصَّدع منه أبعد.

وجُعِل الشعرُ فوقه، ليُوصلَ باصولِ الآدهان الى الدّماغ، و يُخرِجَ بأطرافه البخارَ منه، و يَرُدَّ الحرَّ والبرد الواردَين عليه.

وخَلَتْ الجبهةُ من الشعر، لأنّها مصبُّ النور الى العينين.

وجُعِل فيها التخطيط والأسارير، ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين، قدر مايميطه الانسان عن نفسه، كالانهار في الارض التي تحبس المياه.

و جُعِل الحاجبان من فوق العينين، ليردّا عليها من النور قدر الكفاية،ألا ترى يا هندي[1]....؟

رابعاً: مع ابن أبي العوجاء

إنّه كان هو وابن المقفَّع في المسجد الحرام، يلاحظان الجمع الذي كان يقوم بالطواف حول الكعبة.

فقال ابنُ المقفَّع لأصحابه: لاواحدَ من هؤلاء يستحقُّ اسمَ الإنسانيّة، إلا هذا الشيخ الجالس– وأشارالى جعفر بن محمد الصادق–؛ أما الباقون فرعاع و بهائم.

فقام ابن ابي العوجاء إلى الشيخ وتحدَّث معه ثم رجع وقال: ما

١– المناقب: ٣٣٦/٢

هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً، و يتروّح إذا شاء باطناً، فهو هذا.

وحينما اقترب من الامام واصبحا منفردين قال له الامام الصادق: لوكان الامر كما يقول هؤلاء— وأشار إلى الجمع القائم بالطواف—، وهو حقّ كما يقولون، نجا هؤلاء و عطبتم؛ إما اذا انعكس الحال، وكان على ماتقولون، وهوليس كماتقولون، فأنتم وإيّا هم سواء.

فسأله ابن اَبي العوجاء: رحمك الله أيّها الشيخ، أيّ شيئ نقوله نحن، وأيّ شيئ يقولونه هم، فأجابه الامام جعفر: أنّى لماتقولون أن يكون كمايقولون؟ هم يقولون: بالمعاد، والوعد والوعيد، وأنّ للسماء إلاهاً، وبها عمراناً، بينما تزعمون أنّ السماء خراب وليس بها أحد.

فقال ابن أبي العوجاء: لوكان الامر كما تقول، فما منع الله من الظهور لجميع خلقه، ودعوتهم الى عبادتِه، حتى لايصبح اثنان فيهم على خلاف؟ لماذا اختفى عنهم، ومع ذلك أرسل اليهم رُسُلاً؟ لوكان قد ظهر بذاته لهم، لكان ذلک أسهل الى الاعتقاد به.

فأجابه الامام جعفر: كيف اختفى عنک، مَن أظهر قدرته في نفسک أنت؟ وفي نمائک؟

وكان جواباً بليغاً، حتى قال ابن أبي العوجاء لأصحابه: وظلّ يُحصي لي قدرةَ الله في نفسي، والتي لم استطع رفضها، حتى ظننتُ أنّ اللهَ قد نزلَ بينه و بيني[1].

تلكم، هي بعض المناظرات وليس كُلّها، التي ناظرفيها الصادق مَنْ كذبوا في صدقهم...

أمّا من يُريد المزيد من التعرّف عليها، خصوصاً تلک التي جرت مع ابن أبي العوجاء؛ فعليه بمراجعة من مثل مناظرات الصادق، التي أملاها على تلميذه ووكيل أمواله، المفضل بن عمر الجعفي

١— من تاريخ الإلحاد للاستاذ عبدالرحمان بدوي: ص ٦٩

الكوفي؛ والتي عُرفت على الايام، بكتاب «توحيد المفضّل»، وهو مطبوع مشهور[1].

وبعد؛ فهل في الأمر مبالغة إذا وجدنا من يقول: وكان موقفه من التنازع والجدل، موقف العالم المناضل، والفيلسوف المؤمن، القوي بحُجَّتِهِ وبراهينه، الراجح في عقله واستدلاله، يدافع عن حقيقة الاسلام، بما يُقرّه العلم الصحيح، والايمان الحق، والمنطق الصائب، ويُدلي بعلمه وآرائه بصراحةٍ، ويردّ على خصمه بالبلاغة الباهرة، والأدلّة القاطعة[2].

ويقول: ولقد اشتهرت مناظرات الامام الصادق، حتى صار مصدراً للعرفان بين العلماء، وكان مرجعاً للعلماء، في كُلِّ مايَعْضُل عليهم الإجابةُ عنه، من أسئلة الزنادقة وتوجيهاتهم، وقد كانوا يثيرون الشكّ في كلِّ شيئ، ويتمسكون بأوهى العبارات، ليُثيروا غباراً حولَ الحقائق الإسلاميّه، والوجدانيه، التي هي خاصَّةُ الإسلام[3].

١ــ وينظر كذلك: كتاب الامام الصادق للاستاذ رمضان لاوند: ص ١٨٣ــ١٨٥، وكتاب حياة الامام الصادق للسُّبيتي: ص ٧٧ــ٧٩، وكتاب الامام الصادق للشيخ المظفر: ٢١١/١ــ٢١٢

٢ــ ينظر: رسالة الدكتور الكيّالي في الامام الصادق عليه السلام: ص ١٤

٣ــ ينظر: الامام الصادق لأبي زُهرة: ص ٩٩

الحقل الرابع
في: علميته

أ ـ مجمل علومه

فعلومُهُ عليه السلام مِن الكثرة بمكان، حتى لَيَكادُ المثقّفُ المتتبع الضليع، يجد أثره في كُلِّ فنٍ من فنون المعرفة الإنسانية، التي يجدر بالدارس أن يتناول كُلاً منها على حِدة، فيتعرف بذلك على منهج الامام في طريقة سردها؛ ثم جملة آرائه قِبالة الآراء المطروحة في عرض كُلِّ موضوعٍ من مواضيعها...

وحيث أخذنا أنفُسَنا مُسْبقاً بضرورة الاختصار، وحيث أنَّ بعض رؤوس الاقلام بهذا الصدد ضروري أيضاً؛ فإني سوف أكتفي هنا بإيراد نصوص بعض مَنْ يُعتدّ بقولهم كمايلي:

١ ـ قال أبوحنيفة: جعفر بن محمد أفقه من رأيت[1].

وقال أيضاً: «ألسنا روينا أنّ أعلَم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[2].

---

١ ـ جامع مسانيد أبي حنيفة: ٢٢٢/١

٢ ـ مناقب الامام أبي حنيفة للمكّي: ١٧٣/١، والامام الصادق لأبي زُهرة: ص ٢٥٢

٢– وقال عبدالله بن أسعد اليافعي: «... له كلام نفيس في علم التوحيد، وغيرها»[١]

٣– وقال محمد أمين البغدادي: «نُقِل عنه من العلوم مالم يُنقل عن غيره، وكان إماماً في الحديث»[٢].

٤– وقال محمد فريد وجدي: «كان من أفاضل الناس، وله مقالات في صناعة الكيمياء»[٣].

٥– وقال السيد ميرعلي الهندي: «ولامشاحّةَ، أنّ انتشار العلم في ذلك الحين، قد ساعد على فكّ الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفيةُ عامة، في كُلّ حاضرة من حواضر العالم الاسلامي؛ ولايفوتنا أن نُشير إلى أنّ الذي تزعّم تلك الحركة: هوحفيد علي بن أبي طالب، المُسمّى بالامام الصادق؛ وهو رجلٌ رحبُ أُفق التفكير، بعيدُ أغوار العقل، مُلِمٌ كُلَّ الإلمام بعلوم عصره؛ و يُعتبر في الواقع أنّه أوّلُ من أسس المدارس الفلسفيّة المشهورة في الاسلام؛ ولم يكن يحضر حلقته العلميّة، اولئك الذين اصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب؛ بل، كان يحضرها طُلاب الفلسفة والمتفلسفون، من الأنحاء القاصية»[٤].

٦– وقال الأستاذ رمضان لاوند: وجاء في رسالة المُفضَّل بن أبي العوجاء مايدل على علم الإمام بفنون من الأشربة، والأطعمة، وأنواعها، وتأثيرها، وعلاقتها بطبائع الانسان، ثم الأدوية وفوائدها؛ وجاء مثل ذلك أيضاً في رسالة الإهليلجة، التي ناظر فيها الطبيب الهندي، فقد أورد خلال هذه المناظرة من الاستشهادات والإشارات

١– مرآة الجنان: ٣٠٤/١

٢– سبائک الذهب: ص ٧٤

٣– دائرةُ معارف القرن الرابع عشر: ١١٠/٣، و ينظر: الفهرست– طبعة تجدد–: ص ٤٢٠، والامام الصادق مُلهم الكيمياء: ص٤٠، ووفيات الاعيان: ٢٩١/١، وجريدة الثورة البغدادية: العدد ١٩ كانون الاول ١٩٦١، والأعلام: ١٨٦/١، ومرآة الجنان: ٣٠٤/١.

٤– تاريخ العرب: ص ١٧٩

الطبيّة، وذكرٍ من أسماء الأدو ية مايدلّ على معرفته بالثقافة الطبيّة عهد ذاك ».

وقال أيضاً: «وقد نُسبت الى الامام نصائح صحيّةٌ وتوجيهاتٌ طبيّةٌ منها: «إنّا اهل بيت لانتداوى إلاّ بإفاضة الماء البارد يُصبُّ علينا»، إنّ لكلّ ثمرةٍ سُمّاً، فإذا أتيتم بها فأمِسّوها الماء وأغمسوها في الماء»[1].

ب- مماقيل بحقه:

هُمُ العظماء قليلون في كُلّ حُقبةٍ وعصر
والذين يتحملون إمامة الرسالات فهماً وشرحاً، جهاداً وكفاحاً من أجلها، هم أقلّ وأقل.
والذين خُلّدا و يُخلّدون- بفضل معطياتهم- مع التاريخ، هم الصفوةُ من أُولاء واولئك.
وهكذا كان الحال مع صادق القول والفعل، صادق العَلَن والسريرة، الصادق مع نفسه ومع الناس، لزمانه وكل زمان.
وعليه، فلا غرابة إذا وجدنا مادحيه، من كُلّ حدب وصوب، ووجدنا له اتباعاً يُسمّون بهذا الاسم أو ذاك، حتى ذهب البعضُ منهم الى الدعوة بحقه، الى غيرالمعروف من عقيدته وأخلاقه، الى غيرمايرضاه.
نعم، ذلكم هو صادق المبدأ والشريعة، صادق الخُلق والإنسانيّةِ، صادق أهل البيت جعفر بن محمدالباقر (ع).
نعم، ذلكم الذي كثُرمادحوه، كما عَزّالمتقربون إلى الله بشهادته فيهم وشهاداته؛ وإليكقارئي العزيز طائفةً منهم:

١- الامام الصادق علم وعقيدة: ١٨٦-١٨٧.

١ــ فقد قال عنه زيد بن علي بن الحسين: «في كُلِّ زمانٍ رجلٌ منّا آهل البيت، يحتج الله به على خلقه، وحجته في زماننا ابن أخي جعفر بن محمد، لايضلّ مَنْ تَبِعه، ولايهتدي من خالفه»[1].

٢ــ وقال ابوجعفر المنصور: «... وأنه ليس من أهل بيت الاّ وفيهم مُحدِّث، وأنّ جعفر بن محمد محدّثنا اليوم»[2].

٣ــ وقال مالك بن أنس: «... مارأتْ عينٌ، ولاسمعت أُذنٌ، ولاخطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادةً وورعاً»[3].

٤ــ وقال عمرو بن المقدام: «... كنت إذا نظرتُ الى جعفر بن محمد، علمتُ أنّه من سلالة النبيين»[4].

٥ــ وقال أبوحنيفة: «جعفر بن محمد أفقه من رأيت»[5].

وقال: «مارأيت أفقه من جعفر بن محمد»[6].

وقال: «لولا السنتان لهلك النعمان»، يُشير الى السنتين، اللتين، صحب فيها ــ لأخذ العلم ــ الامام الصادق، رضي الله عنه»[7].

وسأله مرةً عن بعض المسائل ــ بمحضر من المنصور العبّاسي ــ؟ فأجابه قائلاً: أنتم ــ يريد أهل الكوفه ــ تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا؛ ثم يبين بعدها رأيه، فقد يوافق أحدهما أويخالفهما؛ فكان أبوحنيفة يقول بعد ذلك: «ألسنا روينا أنّ أعلم الناس أعلمُهُم

١ــ المناقب: ١٤٧/٢، والبحار: ٤٨/١١

٢ــ تاريخ اليعقوبي: ١٧٧/٣

٣ــ تهذيب التهذيب: ١٠٤/٢

٤ــ صفوةُ الصفوة: ٩٤/٢

٥ــ جامع مسانيد أبي حنيفة: ٢٢٢/١

٦ــ النجوم الزاهرة: ٩،٨/٢

٧ــ مختصر التحفة الاثني عشرية: ص ٨

باختلاف الناس» [1]؟

٦- وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: «هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام، ذو علوم جمّةٍ وأورادٍ متواصلةٍ وزهادةٍ بيّنةٍ وتلاوةٍ كثيرةٍ، يتتبّع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره ويستنتج عجايبه، ويُقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يُحاسب نفسه؛ رؤيتُه تذكّر الآخرة واستماعُ كلامه يُزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنّة» [2].

٧- وقال ابوالفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني: «هو ذو علمٍ غزيرٍ في الدين، وأدب كاملٍ في الحكمة، وزُهدٍ بالغٍ في الدنيا، وورعٍ تامٍّ عن الشهوات» [3].

٨- وقال علي بن احمد المالكي الشهير بابن الصَّباغ: «نقل الناس عنه من العلوم ماسارت به الركبان، وانتشر صيتُه وذكره في سائر البلدان...» [4].

٩- وقال محمد أمين البغدادي السويدي: «نُقل عنه من العلوم مالم يُنقَل عن غيره، وكان إماماً في الحديث» [5].

١٠- وقال ش- سامي: «... استمر على حلقةِ تدريسِ وإفادات جعفر الصادق، الامامُ الأعظم أبوحنيفة، واستفاد منه أولاً في المعارف الظاهريّة والباطنيّة، وكان للإمام اليد الطولى في الجبر والكيمياء والإلمام بسائر العلوم...» [6].

١- ينظر: مناقب أبي حنيفة للموفق: ١/١٧٣، وجامع أسانيد أبي حنيفة: ١/٢٢٢، وتذكرة الحُفّاظ للذّهبي: ١/١٥٧، والإمام الصادق لأبي زهرة: ص ٢٥٢.

٢- مطالب السؤول: ٢/٥٥

٣- الملل والنحل بهامش الفِصَل في الملل: ١/٢٢٤، ١/٢٧٢-ط ٢.

٤- الفصول المهمة: ص ٢١٦

٥- سبائك الذهب: ص ٧٤

٦ - قاموس الاعلام: ٣/١٨٢١- وقد تُرجمت الكلمة من التركيّة-، نقلاً عن الامام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر: ١/٥٧، والامام جعفر الصادق عليه السلام لعلي دخيّل: ص ١١٥

١١ــ وقال محمد فريد وجدي: «... كان من أفاضل الناس، وله مقالات في صناعة الكيمياء؛ وكان تلميذُهُ أبوموسى، جابر بن حيّان الصوفي، الطرسوسي، قد ألف كتاباً، يشتمل على ألفِ ورقةٍ، يتضمن رسائل جعفر، وهي خمسمائةُ رسالةٍ[1]».

١٢ــ وقال عبدالعزيز سيّد الأهل: «مفخَرةٌ من مفاخِر المسلمين لم تذهب قط، وإنّما بقي منها في كُلِّ غدٍ قادم حتّى القيامه، صوت صارخ من حروفها: يعلّم الزهاد زهداً، و يكسب العلماء علماً، و يُهدّئ المضطرب، و يشجع المقتحم؛ يهدّ الظلم، و يبني للعداله؛ وهو يُنادي المسلمين جميعاً: أنْ هلمّوا فاجتمعوا، وإنّ قوماً لم يختلفوا ــ في ربّهم وفي كتابهم وفي نبيِّهم، لمجموعون ــ مهما اختلفوا ــ في يومٍ قريب»[2].

١٣ــ وقال خيرالدين الزركلي: «.. له منزلةٌ رفيعةٌ في العلم، أخذ عنه جماعة؛ منهم الإمامان: أبوحنيفة ومالك؛ ولقب بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب قط؛ له أخبار مع الخلفاء من بني العباس، وكان جريئاً عليهم، صَدّاعاً بالحق...»[3].

١٤ــ وقال رمضان لاوند: «ومهما يكن الأمر، فقد كان الامام جعفرالصادق رضي الله عنه، من اولئك الذين عاش القرآن في نفوسهم، وبدا في أقوالهم وأعمالهم، يمشي فيهم على قدميه، و يعمل فيهم بيديه، و يُفَكِّر فيهم بعقله»[4].

وقال أيضاً: «لا أفهم من إنسانيّة الامام هنا، مايفهمه الناس من أنّها خصوصيّةٌ أخلاقيّة، ينسبونها إلى الفاضلين من الرجال؛ بل، أدرك بها معنى أوسع وأشمل، لا تكون فيه الفضيلة فضيلةً أخلاقيّة فقط،

---

١ ــ دائرةُ معارف القرن الرابع عشر: ٣/١١٠

٢ــ جعفر بن محمد: ص ٦

٣ــ الاعلام للزركلي: ٢/١٢١

٤ــ الإمام الصادق علم وعقيدة: ص ٢٣

بل فضيلةً علميّةً أيضاً.

لقد كان الامام متفوقاً في خُلُقه، متفوقاً في حُسْنِ معاملته للناس، متفوّقاً في تصوير المَثَل الأعلى الأدبي، لمن كان يطلب العلم في مجالسه، أو يذهب مذهبه من أتباعه،أو يُعجَب به مَن هو على مذهب غيره من العلماء والفقهاء؛ كما كان متفوّقاً في سعة إدراكه، وغوصه على الحقائق العلميّة والفلسفيّة في عصره، متفوقاً في مشاركته الشاملة التامّة العميقة، في كُلِّ المعارف التي شاعت في عصره الذهبيّ»[1].

١٥– وقال بطرس البستاني:«جعفرالصادق وهو ابن محمدالباقر، بن علي زين العابدين؛ كان من ساداتِ أهل البيت، ولُقِّب بالصادق لصدقه، وفضله عظيم، له مقالاتٌ في صناعات الكيمياء والزجر والفال، وكان تلميذه جابر بن حيّان قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقةٍ، تتضمن «رسائل الصادق»، وهي خمسمائة رسالة؛ اليه يُنسب كتاب الجفر وسيذكر، وكان جعفر أديباً تقياً ديّناً حكيماً في سيرته»[2].

١٦– وقال عارف ثامر والاب أ. عبده خليفة اليسوعيّ: «عندما يتفرغ الباحث لدراسة شخصيّة الامام، جعفر بن محمدبن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، دراسةً صحيحةً على ضوء الضمير النقي، والواقع العقلي، والتجرد العلمي، متّبعاً الاصول الحديثة، مبتعداً عن العاطفة، ومرض التعصب، وأثر الجنسيّة، فلايستطيع إلاّ الاقرار بأنّها مجموعةٌ فلسفيةٌ قائمةٌ بذاتها، تزخر بالحيويّة النابضة، والروحيّة المتجسّدة، والعقلية المُبدعة التي استنبطت العلوم، وأبدعت الافكار، وابتكرت السُّنن، وأوجدت النظم والأحكام»[3].

---

١ – الإمام الصادق علم وعقيدة :ص١٦٦

٢– دائرة المعارف: ص/٤٦٨

٣– مقدمة كتاب الهفت والأظِلّة: ص ١٥–١٦

١٧ــ وقال الدكتور حامد حفني داوود: «منذ أكثر من عشرين عاماً، استرعى التفاتي وأنا أبحث في تاريخ التشريع الاسلامي والعلوم الدينيّة ــ الامام جعفرالصادق سليل البيت النبوي الكريم، وما كان له من شخصيّةٍ عظيمة في الفقه الاسلامي، ومنزلة لا تُجارى في عالم الفكر العربي، وفي الجانب الروحي بصفةٍ خاصّةٍ فوضعتُ في ذلك الوقت بحثاً تناولت فيه جوانب من سيرته وعلمه ومنهجه الفكري والفقهي، واستغرق ذلك مني قُرابة ثمانين صفحة»[١].

١٨ــ وقال الدكتور سُهيل زكّار: لقد ذكر علماء الإسلام الامام الصادق، وأثنوا عليه، وقالوا بأنّه «كان اعلم اهل زمانه، وعنه تفرّع العلمُ بالحلال والحرام، في الخاص والعام»[٢].

حـ ــ من مشهوري حَمَلة علمه

التلمذة على العلماء الاعلام، الأفذاذ النوادر، ليس بالامر السهل البسيط.

وإنّما هي من المِنَح والهدايا، التي تحتاج الى موفقيّةٍ، واستعدادٍ كامل، من لَدن كلّ من الاستاذ وتلميذه؛ لأنّها على المدى القريب والبعيد، تلعب دوراً مهماً في سعادة الفرد، ورفاهيّة المجتمع، وقيام الدولة المستقيمة المستقلة؛ ولأنها بالتالي كما تصلُح أن تكون دليلاً على امتياز التلميذ وعبقريته، فإنّها في الوقت نفسه تصلح أن تكون معياراً لعظمة الاستاذ وزعامته.

وأما بالنسبة للصادق وتلامذته، فبالإ ضافة الى موسوعيته وتنوّع

١ــ مقدمة كتاب الامام الصادق والمذاهب الأربعه: ١٣/١

٢ــ نهج الاسلام: ع ٣، ربيع الأول ١٤٠١،ــ كانون الثاني ١٩٨١ م، ص ٧٩؛ بحث الامام جعفرالصادق، بقلم سهيل زكّار، ص ٧٢ــ٨٣ «مجلة سورية».

اختصاصاتهم؛ فإن طلابه من الكثرة حَدّاً؛ حتى أنّا لانجد غرابةً في مثل قول الوشاء: «أدركتُ في هذا المسجد (يعني: مسجد الكوفه)، تسعماءة شيخ، كُلّ يقول: حَدَّثني جعفر بن محمد»[1]؛ وفي مثل قول الرفاعي: «... وقد نقل الناس عنه، على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم، ماسارت به الركبان، وقد عَدَّ اسماء الرواة عنه فكانوا أربعة آلاف رجل»[2]: وفي مثل قول الحنفي البسطامي: «ازدحم على بابه العلماء، واقتبس من مشكاة أنواره الاصفياء»[3].

وأما من جهة اسماء اشخاص البعض من اولئك التلاميذ، فهي ماسوف نأتي عليها من خلال النصوص التالية:

١- قال ابن حجر: «... وروى عنه الائمةُ الأكابر؛ ك: يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفيانييّن، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني»[4].

٢- وقال الخفاجي: «... روى عنه كثيرون ك: مالك بن أنس، والسفيانيّين، وابن جريج، وابن اسحاق؛ واتفقوا على: إمامته و جلالته، وسيادته ...؛ وثقه في روايته: الشافعي، وابن معين، وأبوحاتم، والذهبي....»[5].

٣- وقال المقدسيّ: «... سمع: أباه، و محمد بن المُكُنْدَر، وعطاء بن أبي رباح؛ روى عنه: عبدالوهاب الثقفي، وحاتم بن اسماعيل، ووهيب بن خالد، وحسن بن عيّاش، وسليمان بن بلال، والثوري، والدراوردي، ويحيى بن سعيد الانصاري، وحفص بن غياث،

١- المجالس السنية: ٢٠٩/٥

٢- صحاح الأخبار: ص ٤٤، و ينظر: التعليقة رقم ٢، في صفحة ٢؛ من الجزء الاول، من كتاب «الاستبصار في ما اختلف من الاخبار» للشيخ الطوسي، في طبعته الثالثة، سنة ١٣٩٠ هـ . ق.

٣- مناهج التوسّل: ص ١٠٦

٤- الصواعق المحرقة: ص ١٢٠

٥- شرح الشفاء: ١٢٤/١

ومالك بن أنس، وابن جريج»[1].

د- وآخرون خُلّدوا بخلوده:

نعم، ذلك الذي ذكرناه، نقوله اذا نحن لم نَسِر مع اولئك، الذين ينصّون على امامته، ووجوب الاعتصام بعصمته و يرون أنّهم ليسوا أهلاً لكي يشهدوا بحقه، وانما هم يرون شهادته بحقهم، نعمةً من الله ينعم بها عليهم، يعتزّون مُتبرِّكين بها، ويُجاهدون من أجل الاحتفاظ بشرائطها؛ من التزام تامٍ واعٍ، بكل مايُرضي الله والشريعة والناس، عقيدةً وسلوكاً وعاطفةً ومواقف.

نعم، اولئك الذين لابد أن يجتازوا، الاختبار الحياتي تلو الاختبار، جهاداً في ميادين التقى والورع والعلم، على مر الايام وحتى الوقت الحاضر، على أسس من «علم الرجال»، حتى يفوز الواحد منهم بلقب الألقاب؛ أعني كونه: ثقةً صدوقاً...

اولئك الذين أتت عليهم كتب الرجال من قبيل: «الفهرست» للشيخ الطوسي، «ورجال الكشي»، «ورجال النجاشي»، «ونقد الرجال»، «ورجال المحقق»، «ورجال العلامة»، «وقاموس الرجال»، «وأمل الآمل»، «والرياض» للأفندي، و«لؤلؤة البحرين»، «ورجال بحر العلوم»، «وروضات الجنات»، «وتنقيح المقال»، «ومعجم رجال الحديث»، وغيرها الكثير، مِمّا هو ينتظر التحقيق والطبع من مخطوط.

أُولئك الذين بقيت أسماؤهم مُخَلَّدةً، بتخليدِ جُهد الصادق من أهل البيت (ع)، ومادام هناك حديث يُرْوَى من طرقهم؛ أعني بهم

١- الجمع بين رجال الصحيحين: ٧٠/١، و ينظر: رسائل الجاحظ للسندوبي: ص ١٠٦، والنجوم الزاهرة: ٩/٢، والاتحاف بحب الأشراف: ص ٥٤، والتشريع الاسلامي للخضري: ٢٦٣، وجواهر الكلام: ص ١٣، وتهذيب الاسماء: ج ١ ص ١٥٥، والخلاصة: ص ٧٦، ومطالب السؤول: ٥/٢.

تلامذته من قبيل: أبان بن تغلب، وزرارة بن أعين، وآبنه، وأخيه، والمعَلَّى بن خُنيس، ومؤمن الطاق، وجميل بن درَّاج النخعي، وحمّاد بن عثمان، والحارث بن مُغيرة، ومعاوية بن عمَّار، وعمرو بن حنظلة، وعلي اِبن يقطين، والمفضَّل بن عمر،...

هـ – من مختار كلماته

١

قبل كُلِّ شيئ، المهم تأكيده هنا: هوأن كل من ترجم للصادق، يثَمِّن قيمةَ الأحاديث التي جاء بها.

أليس هوالذي يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين عليهم السلام، وحديث أميرالمؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عزوجل»[1].

نعم، الكل يعترف، حتى انكلا تكاد تجد مصدراً حديثياً واحداً، يخلو من ذكر أحاديثه؛ وهو ماقامت به فعلاً كتب الصحاح– اِلاّ البخاريّ[2]–، على اختلاف مشاربها، إن بصورةٍ مباشرةٍ أوغير مباشره.

وما نظرة موضوعيّة الى رواة الأحاديث فيها، إماميين[3] وغير إماميين[4]، والتعرّف على شيوخهم وأساتذتهم، اِلاّ وكفيلة ببيان أثر

١– اصول الكافي: ٥٣/١، كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب والحديث، الحديث ١٤؛ و ينظر كذلك: ١٠٥/١؛ و ينظر كذلك: الطبقات الكبرى للشعراني: ٢٨/١، وحلية الاولياء: ١٩٣/٣،١٩٧

٢– ينظر: أعيان الشيعه: ج ٤ ق ٢ ص ٥١

٣– ينظر من مثل: فهرست ابن النديم: ص ٥٠، ٢٥٠، ٣٠٨، تهذيب التهذيب: ٩٣/٣، لسان الميزان: ٢٤/١، تاريخ الاسلام للذهبي: ٤٥/٦، وميزان الاعتدال: ٥٥/٣.

٤– ينظر من مثل: التحفة الاثني عشرية: ص ٨، خلاصة الكمال: ص ٥٦، تاريخ بغداد: ١٨٨/٨، تهذيب التهذيب: ٢٨٢/١–٧٦٠.

التركة، التي زوّدهم بها صادق المحدّثين [1]؛ تلك التي عُدَّت أحاديثها بالآلاف [2]؛ بل: روى عنه راوٍ واحد- وهو أبان بن تغلب-: ثلاثين ألف حديث [3].

حتى أننا لانستغرب إذا وجدنا من مثل كمال الدين محمد بن طلحة الشّافعي يقول: «نُقِل عنه الحديث، واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة واعلامهم؛ مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عُيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني، وغيرهم؛ وعدّوا أخذهم منه منقبةً شُرِّفوا بها، وفضيلةً اكتسبوها» [4].

وإذا وجدنا من مِثل المحقِّق الحلّي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ يقول: كتبت من أجوبة الامام الصادق، أربعماءة مَصنَّف [5]، لارَ بعمائة مُصَنَّف، تلك الأجْوبة التي سُميّت بالاصول، وكانت مادةَ أجلِّ الصحاح الإماميّة، كما يقول الدكتور حسين علي محفوظ؛ من قبيل: «الكافي» للكُليني، المتوفّى سنه ٣٢٩ هـ، و«فقيه من لايحضره الفقيه»، لابن بابويه، المتوفى سنه ٣٨١ هـ، و«تهذيب الاحكام» و«الاستبصار»، للشيخ الطوسي، المتوفى سنه. ٤٦ هـ [6]؛...

—٢—

وحيال ذلك التقيم والعرض، يقف الباحث المُنْصِف حائراً

١- ينظر: شذرات الذهب لابن العماد: ١/٢٢٠، ونور الأبصار للشبلنجي: ص ١٤٥.

٢- ينظر: الامام الصادق للشيخ ابوزهره: ص: ٨٩، وعقيدة الشيعة الإماميّه للحجّة هاشم معروف: ص ١٤٧.

٣- اعيان الشيعة: ج ٤ ق ٢ ص ٣٤

٤- مطالب السؤول: ٢/٥٥.

٥- ينظر: المُعتبر في شرح المختصر: ص ٥، الوجيزة للشيخ البهائي: ص ١٨٣، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/١٢٥-١٧٠، ٦/٣٠١-٣٧٤، وأعيان الشيعة: ١/٢٦٢-٢٦٣

٦- ينظر: أُصول الكافي «تقدمة» ١/٥

متردِّداً في هذا المجال؛ في مجال الإستفادة من: أحاديث الصادق، وخطبه، وكلماته.

ترى، عن أيّ كلمةٍ يتحدَّث؟ وكُلّ كلماته عظيمه.

أينقل– لبحثه– من كلماته القصار؟ أم تلكم غيرالقصيرة؟ وكُلٌّ لها طعمها الخاص بها، وموضوعها الذي تتفرّد به.

أينقل من تلك الخاصة بوصاياه؟ أم تلكم الخاصّة بعرض الأحكام و توضيحها؟ أم تلك التوحيديّة خاصّة، على اختلاف مشاربها، التي سَنَّها لغير زمانه وفي كُلِّ مكان؟

إلاّ أنّ الشيئ، الذي يُمكن أن نتفق عليه: هوأنّ كلماته جميعاً، تنتظم في وحدة واحدة، وإن هي بَدَت متنوعةَ الأوجه؛ وأنَّها جميعاً تتَّسِم بالتنوّع المتكثِّر، وإنْ هي تُفضي بالأخرة، إلى وحدةٍ متكاملة الجوانب والجهات؛ وأنّها في النهاية تقوم وتنتهي الى قمّة التوحيد.

من هذا المنطق، فإن اختيارنا هنا لجملة من كلماته المنتخَبَة، لايَعني أنَّها تُمثِّل أفضل ماقيل، وكُلّها فاضلة، وإنَّما تعني في غاية ماتعنيه، أنّها اختيارٌ ذوطابعٍ شخصيّ، لشريحةٍ خاصّةٍ مختارة، ولما يُمكن أن نكوِّن من خلالها فكرة، في جانب معيّن– وقد تكون لها صِلةٌ بجوانبٍ أُخر– من جوانب الحياة.

٣

أجل، قال الصادق:

١– إنّ الثواب على قدر العقل[1].

٢– أكمل الناس عقلاً أحسنُهم خُلقاً[2].

٣– كمال العقل في ثلاث: التواضع لله، وحُسنُ اليقين، والصمت اِلاّ من خير.

١– ينظر: أصول الكافي: ١/١٢؛ كتاب العقل والجهل، حديث ٨

٢– ينظر: أصول الكافي: ١/٢٣؛ كتاب العقل والجهل، حديث ١٧

٤– مَنْ فرّط تورّط، ومن خالف العاقبة تثبّت فيما لايعلم [١].
٥– العلماء أُمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة [٢].
٦– لايقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولامعرفة إلاّ بعمل، فمن عَرَف دَلّته المعرفة على العمل، ومن لايعمل فلا معرفة له، ألا أنّ الإيمان بعضه من بعض.
٧– ثلاثةٌ من كُنَّ فيه استكملَ الإيمان: مَنْ إذا غضب لم يُخرجه غضبُه من الحقّ، و إذا رضي لم يُخرجِهُ رضاه إلى الباطل، و من إذا قدِرَعفا [٣].
٨– إنّ الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، و جعل الهمَّ والحزن في الشكّ والسخط [٤].
٩– لا تُشعروا قلوبكم الاشتغال بما قدفات، فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأتِ.
١٠– من أنصف الناس من نفسه رُضي به حكماً لغيره [٥].
١١– إنّ الحسدَ يأكلُ الإيمان كما تأكلُ النارُ الحطب [٦].
١٢– مامن أحدٍ يَتيه إلاّ مِن ذِلّةٍ في نفسه [٧].
١٣– أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظلم مَن دونه، ولم يصفح عمّن اعتذراليه.
١٤– احذر من الناس ثلاثة: الخائن، والظلوم، والنمّام؛ لأن

١– ينظر: تحف العقول: ص ٢٦٢.
٢– ينظر: أصول الكافي: ٣٢/١؛ كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله وفضل العُلماء، حديث ٥
٣– ينظر: أعيان الشيعة: ج ٤ ق ٢ ص ٥٩، ٦٨
٤– أصول الكافي: ٥٧/٢؛ كتاب الايمان والكفر، باب فضل اليقين، حديث ٢.
٥– تحف العقول: ص ٢٦٢
٦– أصول الكافي: ٣٠٦/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد، حديث ٢.
٧– أصول الكافي: ٣١٢/٢، كتاب الايمان والكفر، باب الكبر، حديث ١٧

من خان لک خانک، و من ظلم لک سیظلمک، و من نَمَّ الیک سیَنُمُّ علیک[1].

١٥– ثلاثةُ أشياء يحتاج إليها الناسُ طُرّاً: الأمن، والعدل، والخِصب.

١٦– ثلاثة تكدّر العيش: السلطان الجائر، والجارالسوء، والمرأة البذيئة[2].

١٧– لا تُفتِّش الناس فتبقى بلاصديق.

١٨– إنّ من أجابَ على كُلِّ مايُسأل لمجنون.[3]

١٩– المؤمن يُداري ولايُماري.

٢٠– من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحقَّ وإن ضرَّك، على الباطل و إن نفعك، وألا يُجوِّز منطقُك عملك....

٤

هذا، وقد عقّب الاستاذ رمضان لاوند على هذه الحِكَم قائلاً: «وفي رأيي أنّ هذه الخطوط، التي نسمِّيها الحِكَم، تستطيع أن تُعطي لوجُمِعَت ونُسِّقت ونُظِّمت، اللّوحة التالية:

يقول الإمام مامعناه:أنا مؤمن بالإنسان العاقل، لأنّ العقل في نظري هودليل صاحبه إلى الحقيقة، والحقيقةُ الكبرى هي الله؛ وإذن فطريق المؤمن إلى الله هو طريق العقل.

ينتج عن هذا: أنّ الثواب الذي يُثاب به المؤمن هوفي حدود مايعقله من الخير و يؤمن به، فلا يفعل الخير تقليداً و خضوعاً لمن هو أكبرمنه،أو خوفاً من المجتمع الذي يُراقبه، بل يفعله لأنّه مقتنعٌ به، مؤمن بضرورته، واثِقٌ من حُسن نتائجِه، مُدرِك لرضا الله عنه.

١– أعيان الشيعة: ج ٤ق ٢ ص ٥٧

٢– أعيان الشيعة: ج ٤ ق ٢ ص ٥٨

٣– ينظر: صحيح مسلم: ١/١٠–١١، المقدمه، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع، حديث ٥

وليس العقل في رأيي عملية وعيٍ وإدراكٍ فقط؛ ففعّاليّته لا تكون إلاّ حين يرتبط بمفهومٍ أخلاقي خاص؛ يرتبط بالتواضع، والصدق، والإستقامة، و حُسن الظن بالناس، والصمت عن كل شيئ الاّفيما ينفع الناس و يُرضي الله؛ وهومرتبط أيضاً بالإعتدال في كُلّ شيئ في الحبُّ والكُره، والكرم والبخل، والسرعة والبطء فلا إفراط ولا تفريط.

أما العلم ففي قاعدته حُسن الاخلاق؛ وقيمةُ العلم في تطبيقه، لأنّ المعرفة التي لا تدفع صاحبها الى العمل، شيئ غيرموجود»[1].

١ــ الإمام الصادق علم و عقيدة: ص ١٩٠ــ١٩٣ «باختصار».

الفصل الثاني
في: إمامة الاجتهاد

ونأتي عليها مِن خلال الحقول التالية:



الحقل الاول
في: إمامة الاجتهاد

أمّاوقد اكتفينا بما عَرَضنا، من ترجمةٍ مناسبةٍ عن الإمام، بالشكل الذي مَرّ.

وأمّا أن حديث الإمامة و الإمام، قد قيل فيه و يُقال، و كُتِب فيه و يُكتب عنه الكثير، والمتنوِّع الكثير.

وحيثُ أنّ الامر من جانبنا، لايعدوعن كونه إعطاء فكرةٍ موجزة مناسبة، تتناسب وطبيعة الظرف الذي نحن فيه، والوقت المخصَّص لمثل هذا الموضوع..

عليه، سنتناول مهمة الإمامة الإجتهاديّة، كامتدادٍ إلى تلك الإمامة المعصومة، بالموجز التالي:

-١-

إذا كانت الإمامةُ كما يراها الإماميّةُ: «ليست من المصالح العامة، التي تُفوَّض إلى نظر الأُمة، و يتعيّن القائم بها بتعينهم؛ بل، هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام؛ ولايجوز لِنبيّ إغفاله ولا تفو يضه إلى

الأمة؛ بل، يجب عليه تعيين الإمام لهم، و يكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً رضي الله عنه، هوالذي عيّنه صلوات الله عليه، بنصوص ينقلونها و يؤوّلونها، على مُقْتَضَى مذهبهم»[1].

وإذا كان وجوبُها هوالمقول به لدى الغالبيّة العظمى من الفِرَق الاسلامية؛ وهم في ذلك إمّا أن يستدلّوا عليها: بالأدلّة النقلية[2]، أوالأدلّة العقلية[3]، أوكليهما[4].

وقد قلنا: الغالبية العظمى، لأن هناك فرقة الخوارج النجديّه، وأتباع هُشام الغوطي من المعتزلة، من لا ترى ذلك الوجوب[5].

واذا كان النص على مبدأ الإمامة، يبدأ من عهد رسول الله «ص»؛ حيث قدنَصّ على إمامة علي، «باسمه ويمينه ونصّبه للناس إماما واستخلفه، وأظهر الامرفي ذلك إلى غيره، وأنّ الأُمّةَ أخَلّت وكفرت بصرفها إلى غيره[6]...»

وأنّ الإمامة تستمرّ في الأئمة، الذين أوصى بهم الرسول «ص»، وذكر اسماء هم بعد علي، فالنبي أوصى الى علي، وعلي أوصى الى الحسن، والحسن أوصى الى الحسين، وهكذا حتى يصل الامر الى الامام جعفرالصادق؛ ومن بعده لموسى الكاظم، وهكذا حتى يصل الامر الى الامام الثاني عشر[7]».

نعم، إذا قيل: مثلُ هذا، فياتُرى، ما الذي نُر يد بعدُ أن نقول؟

١– المقدمة لابن خلدون: ص ١٣٨
٢– ينظر من مثل: تاريخ اليعقوبي: ١٢٥/٢، التنبيه والإشراف: ص ٢٥٥
٣– ينظر من مثل: مُحَصَّل أفكار المتقدمين والمتأخرين: ص ١٧٦
٤– ينظر من مثل: كتاب الألفين بين الصدق والمين للحُلّي
٥– نهاية الاقدام في علم الكلام: ص ٤٨٢
٦- المصدر نفسه
٧– الحورالعين: ص ١٥٣

—٢—

وإذا كانت الامامةُ في مُهِمَّتها، على الأقَلّ من الوجهة الاماميّة، تذهب إلى قيادة الدين، من دنياه الى آخرته، من مهمة التبليغ الى القضاء والتنفيذ.[١]

وأنّ الامامة، و إن كانت أساساً انطلقت من منصب الإمام المعصوم، غير أنَّها تبعاً لخلود الاسلام وخلود قيادته؛ ولأنّ حلاله حلال إلى يوم القيامه، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

غير أنَّها، بتخويل المعصوم من الرسول عن الله، يمتدّ بها المقام إلى يومنا هذا ومابعده؛ ولكن، عن طريق الفقيه— زمن الغيبة— المجتهد العادل، الجامع للشرائط، حامل الاجتهاد، الذي يتفق مع خطّ الإمام في مُهمّة القيادة، و يَقْصُرعنه بخاصيّة العُصمة إلى اشتراط العدالة؛ العَاملان المميزان، اللذان سنأتي عليها بما يُناسب من التفصيل، في حلقةٍ قادمةٍ إن شاءالله.

أمّا وقد وصلت النوبة إلى هذا الحد، فياتُرى ماهوالاجتهاد؟ وماهي حُجج أولئك الذين عملوا على سَدّه؟ وماالداعي الى المناداة بفتحه؟ كي تكون الخاتمةُ في تَعدِية مهام الإمامة اليه؛ طبعاً مع حفظ الفارق، في قيادة الاسلام والمسلمين.

١— ينظر: الامام الصادق لأبي زُهرة: ١٨٨—١٨٩

الحقل الثاني
في: الاجتهاد وأبعاده

بلى، يجدر التطرّق إلى أهم، ضمانةٍ علميّةٍ للفقيه في المقام، وأعني بها: ضمانة وجوب الاجتهاد، القاعدة الأساسيةُ المشروعةُ، التي تؤهّل المُتَصدّي للتبليغ الشرعي، أن يُفتي بما يُريدُهُ الله، ويحكم به نيابة عن الإمام؟

على أنَّ الحقَّ يُقال: أنّ موضوع الاجتهاد، بُحِث عنه كثيراً، وأغلب الظّن أنَّ البحث عنه سيبقى مستمراً، مادامت هناك شريعة، وفقهٌ وفقهاء دُعاة الى الله.

فقد بُحِث عن معناه اللغوي، كما في قول الجوهري: الاجتهاد: بذل الوسع والمجهود[1]؛ وقول ابن منظور: «في حديث مُعاذ: أجتهدُ رأيي؛ الإجتهاد: بذل الوسع في طلب الامر؛ وهو افتعال من الجهد والطاقة[2]».

ثم بُحث عن مداليله الاصطلاحية، ومايترتّب عليها من حدود،

١ــ الصحاح: ٤٥٧/١ــ٤٥٨

٢ــ لسان العرب: ١٣٤/٣ «جهد».

وما تـؤولُ إليه من آثار، تُقَرّبها أوتُبعدها عن مفاهيم الشر يعة وأبعادها؛ ولَعَلَّ من جميل ما اصطلح عليه: هوقول المرحوم السيد جمال الگلبايگاني: «هو الإقتدار على ضمِ الصُّغر يات إلى كُبر ياتها، وتطبيق الكُبر يات عليها، واستخراج أحكامها منها».

كما بُحِثَ عن مشروعيّته ومُعِدّاته، ضروراته وأقسامه، مستو ياته ومراتبه، عن الأسباب الداعية إلى فتحه أوسدّه، وغيرها من البحوث التي يتعلّق بها، من قر يب أو بعيد[1].

ولكي تتناسب بقيّة هذاالفصل، وطبيعة هذاالبحث المختصر؛ وكون البحث عن الاجتهاد هنا بالخصوص ثانو ياً، اذا ماقُورِنَ بمفهوم القيادة الإسلامية؛ لذا، عَمدتُ إلى المضي بالحقول التالية كمايلي:

١ــ وللتوسع يراجع من مثل: الإجتهاد أُصوله وأحكامه، للسيد محمد بحرالعلوم، والاصول العامة للفقه المقارن؛ حيث جاء هذان الكتابان على بحث مقارن، وعلى مصادر أصيلة جديرة بالرجوع، تَعُمُّ جميع الآراء الإسلاميةَ على اختلاف مذاهبها.

الحقل الثالث
في: سَدّ باب الاجتهاد

—١—

تناول الكثيرون هذا السدّ بالبحث

وقد أرجع السيد الحكيم أهمّ خطوطها— نقلاً عن خلاّف— إلى عوامل أربعة؛ هي:

١— إنقسام الدولة الإسلامية إلى عِدّة ممالک، وتناحر ملوكها ووزرائها على الحكم، مِمّا أوجب انشغالهم عن تشجيع حركة التشريع، وانشغال العلماء تبعاً لذلک بالسياسة وشؤونها.

٢— إنقسام المجتهدين الى أحزاب، لُكلّ حزب مدرسته التشريعيّة وتلامذتها، ممّا دعاالى تعصّب كُلّ مدرسةٍ لمبانيها الخاصّة، أُصولاً وفروعاً، وهَدم ماعداها، «حتى صارالواحد منهم، لايرجع الى نصّ قرآنيٍ أوحديثٍ، اِلاّ ليلتمس فيه مايُؤيِّد مذهب إمامه ولوبضرب من التّعسف في الفهم والتأويل»، وبهذا فَنيت شخصيّةُ العالِم في حزبيته، وماتت روح استقلالهم العقلي، وصار الخاصة كالعامة أتباعاً ومُقلِّدين.

٣— انتشار المتطفِّلين على الفتوى والقضاء، وعدم وجود ضوابط

لهم، مما أدّى الى تقبّل سدّ باب الاجتهاد، في أواخر القرن الرابع، وتقييد المُفتين والقضاة بأحكام الأئمة، حيث عالجوا الفوضى بالجمود.

٤– شيوع الامراض الخلقية بين العلماء، والتحاسُد والأنانيّة، «فكانوا اذا طرق احدهم باب الاجتهاد، فتح على نفسه أبواب التشهير به، وحطّ أقرانه من قدره، وإذا أفتى في واقعةٍ برأيه، قصدوا الى تسفيه رأيه، وتفنيد ما أفتى به بالحق و بالباطل، فلهذا كان العالم يتّقي كيد زملائه، وتجريحهم بأنه مقلّد وناقل، لامجتهد ومبتكر، وبهذا ماتت روح النبوغ، ولم تُرفع في الفقه رؤوس، وضعُفَت ثقةُ العلماء بأنفسهم، وثقةُ الناس بهم»[1].

—٢—

ثم عقّب الحكيم على تلك الخطوط بقوله: «وهناك عامل خامس، كاد أن يسدّ باب الاجتهاد، عند الشيعة الإمامية بالخصوص، في القرن الخامس الهجري، وهو عِظَمُ مكانة الشيخ الطوسي، وقوّة شخصيته التي صهرت تلامذته في واقعها، وأنستهم أو كادت شخصياتهم العلمية، فما كان أحدٌ منهم ليجرؤ على التفكير في صِحّة رأيٍ لأستاذه أو مناقشته.

وقد قيل: أنّ ما خلّفه الشيخ الطوسي من كُتُب الفقه والحديث، كادَ أن يستأثر في عقول الناس، فيسُدَّ عليها منافذ التفكير في نقدها، ما يُقارب القرن.

وقد كان لموقف ابن ادريس وهو من أكابر العلماء لدى الإماميّة، فضله الكبير في إعادة الثقة إلى النفوس، وفسح المجال أمامها لتقييم هذه الكتب ونقدها، والنظر في قواعدها.

ولولا موقفه المشرّف إذ ذاك ، لكان الاجتهاد إذ ذاك ضحيةً من

١– ينظر: خلاصة التشريع الاسلامي: ص ٣٤١–٣٤٢، والأُصول العامة للفقه المقارن: ٥٩٩–٦٠٠

ضحايا التقديس، والفناء في العُظَماء من الناس.

وهذه العوامل التي ذكرها الاستاذ خلاّف، وإن كان اكثرها لايخلو من أصالةٍ، إلاّ أنّها لا تقوى على تكوين العلّة التامّة لهذا الحصر.

والظاهر، أنّ سياسة تلكم العصور، كانت تخشى من العلماء ذوي الأصالة في الرأي، والاستقامة في السلوك— وهم لايُهادنون على ظلم ولايصبرون على مفارقة، فأرادت قطع الطريق على تكوين أمثالهم، بإماتة الحركة الفكرية من أساسها، وذلك بسدّها لأهمّ منبعٍ من منابعها الأصيلة، وهو الإجتهاد»[1].

٣

وجاء الدور فأقول: لِمَ لايُنظَر الموضوع من وجهة النظر الإسلامية، قِبال المعالجات التي تفرضها على الساحة، النظمُ الوضعيةُ اللاإسلاميّة؛ سواء في المجال التربوي أم السياسي أم الاقتصادي أم العسكري أم غيرها؛ وسواء على الصعيد الداخلي أم على المستوى الخارجي؟

تُرى أعجز الاسلام عن أن يعرض حلوله في الميدان؟ أم أنّه غير مخوّل بذلك؟ فتكون النتيجةُ الانعزال، وفسح المجال للذي هو غيراسلامي، أن يقولَ كلمته ويُنفِّذ إرادته؛ وهو ماحصلَ فعلاً في أغلب المجالات، في طول البلاد الإسلاميه وعرضها.

تُرى ألن تصل النوبةُ الى أن يُحجَرَ على المسلمين عملهم، حتّى في أقدس مايُقدّسونه، وكلُّ ماهو اسلامي مُقدَّس، حتى في اقامة شعائرهم العباديّة، ومايتّصل بأحوالهم الشخصيّة؛ وماحصل لبلاد الاندلس، والبلدان الواقعة تحت الحكم الشيوعي، ومايجري هنا وهناك ليس عنا ببعيد؟

ثُمّ مَنْ يفهم الاسلام على حقيقته وواقعه إذا لم يكن فقيهاً؟

١— ينظر: الأُصول العامة للفقه المقارن: ص ٦٠٠—٦٠١

ومَنْ هوالذي يجرؤ، إذا لم يكن يملك ذخيرةً تَقَوِيّة وفقهيّة تُحَصّنه، على قول الحق والنضال من أجله؟ أليس هوالفقيه العادل؟ وهذا التاريخ مليئ بالأمثله...

وإني أسأل، كم هوالجهد الذي يناله مَن يتصدّى الى التشريع، في الاحكام الوضعية اللا إسلاميه؟ وكم هي المنزلةُ التي يحتلّها بعد ذلك سواء مِن لَدُن الدولة، أم من لدن الشعب، أم من قبل إخوانه أرباب الثقافة والمعرفة.

أقول: لِمَ كلُ ذلك؟ ولِمَ يكون الامر عندنا معكوساً؟ ألأنَّ حكم الوضع أقدسُ من حكم السماء؟ أم أنّ القانوني أمضى في الجهد من الفقيه؟ أم أن المنزلة التي ينالها ذلكم أجدر بالتقدير، من هذا المجتهد العادل، الذي يقوم بتبليغ أحكام الله و يُخَوَّل بتنفيذها؟

بل، وفي جلائل الامور، مَن الذي اتجهت اليه الانظار لسدّ غائلةِ الكفر والنكران؟ أليس من مثل ذلكم السيد المُحسِن الحكيم الذي قال: «الشيوعية كفرٌ وإلحاد»، فوضع بذلك حدّاً للاخطبوط المقنَّن، الذي كاد أن يأتي على البقية الباقية من دُعاة التوحيد، في العراق خاصه، والعالم الاسلامي عامه؟

الحقل الرابع
في: أقوال دعاة الفتح

١ـ قال المخزومي: «وذكروا أن باب الاجتهاد مسدودٌ لتعذّر شروطه، فتنفّس جمال الدين الصَّعداء وقال: مامعنى باب الاجتهاد مسدود؟ وبأيِ نصٍّ سُدَّ بابُ الاجتهاد؟ أو أي إمام قال: لاينبغي لأحدٍ من المسلمين بعدي أن يجتهد ليتفقه بالدين؟ وأن يهتدي بهدي القرآن، وصحيح الحديث، أو أن يجدّ ويجتهد لتوسيع مفهومه منها، والاستنتاج بالقياس على ماينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه، ولاينافي جوهر النص.

إنّ الله بعث محمداً رسولاً بلسان قومه العربي، يُفهمهم مايُريد افهامهم، وليفهموا منه مايقوله لهم: «وما أرسلنا من رسولٍ اِلاّ بلسان قومه»[1]؛ وقال: «اِنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»[2]؛ وفي مكان آخر: «اِنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقِلون»[3]؛ فالقرآن ماأُنزِل الا

١ـ سورة ابراهيم، آية ٤

٢ـ سورة يوسف، آية ٢

٣ـ سورة الزخرف، آية ٣

ليُفهَم، ولكي يعمل الانسان بعقله لتبديل معانيه، وفهم احكامه، والمراد منها»[1].

طبعاً، المقصود بعبارة «لتبديل معانيه»: لطواعية معانيه، لاستيعاب كل مايستجدّ من أحداث.

٢– وقال الشيخ محمد عبده تلميذ الافغاني: «وارتفع صوتي في الدعوة الى أمرين عظيمين: الاول تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأُمّة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه من ينابيعها الاولى، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لتردّ من شططه، وتقلّل من غلطه وخبطه، لتتمّ حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنّه على هذا الوجه يُعَدُّ صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترامَ الحقائق الثابتة، مُطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل»[2].

٣– وقال السيد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده: «أنّه لولا خوفهم– أي العلماء – من حكومات الجهل، لبيّنوا مفاسد التقليد الذي حَرّمه الله، ودعوا الناس الى العمل بالدليل كما امرالله، وقد علمت الحكومةُ العثمانية منذ عهدٍ قريب، بأن بعضَ علماء الشّام يحملون تلاميذهم على ترك التقليد، والعمل بالدليل، فشدّدت عليهم النكير حتى سكتوا عن الجهر»[3].

كما قال أيضا: «ولانعرف في ترك الاجتهاد منفعةً ما، وأمّا مضاره فكثيرة، وكلها ترجع الى اهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استغلال الفكر، وقد أهمل المسلمون كُلَّ علمٍ بترك الاجتهاد، فصاروا الى مانرى»[4].

١– خاطرات جمال الدين للمخزومي: ص ١٧٧–١٧٨

٢– اعلام الاسلام: ص ٩٩

٣– الوحدة الاسلامية: ص ٤٥

٤– المصدر نفسه: ص ١٣٧

٤ــ وقال الدكتور أحمد أمين: «وقد أُصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز، وقولهم بإقفال باب الاجتهاد؛ لأنّ معناه أنّه لم يبق في الناس، مَنْ تتوفر فيه شروط المجتهد، ولايُرجى أن يكون ذلك في المستقبل، وانّما قال هذا القول بعض المقلّدين، لضعف ثقتهم بأنفسهم، وسوء ظنهم بالناس، وزعمهم عكس مايقول أصحاب النشوء والارتقاء، من دعواهم أنّ العقل دائماً في تدنّ وانحطاط، وغلوّهم في تعظيم السابقين...»[1]

٥ــ و يقول الدكتور سعد الشتاوي: «أنّ الاجتهاد الاسلامي الذي يهدف الى التغلّب على البُدَع بأنواعها، بدع العقائد و بدع المعاملات، كفيل بعون الله أن يوصلنا الى هذه الحلول والآمال.

هذا الاجتهاد الإسلامي الحديث، الذي يجب أن يتولاه أولوالعلم الديني، كما دعا الامام الشافعي رضي الله عنه، وهم اولئك الذين تطهّروا بالايمان والعقيدة الصحيحة، فيحكّمون مصادرالاجتهاد ومصادرالتشريع، التي عالجت كافة أُمور الحياة، حيث نُصَّ عليها اِمّا صراحةً وامّا جملةً، في كُليّاتٍ يُهتدى بها و يُقاس عليها اجتهاداً واستصلاحاً بها، فلم تترك أُصول هذه العلوم للفكر البشري القاصر، المتمثل في العقلانيّة السائدة في نواحي العلوم المختلفة، ولذلك لزم ألاّ يتقاعس أُولو العلم الديني، عن الاجتهاد في أحوال البشر المختلفة، فقد زُوّدوا بعناصر الاجتهاد التشريعي الناجح في كافة أُمور الحياة.

اِنّ حال المسلمين الآن لايُمثل الاسلام كنظامٍ اِلهي متكامل بأي حال من الاحوال؛ وأنّ الرجوع الى الاسلام يستلزم تطويع هذه النظم، التي جاءت بهاالمدنية الغربية، لصبغها كُلِّها بالصبغة الاسلامية الصميمه.

اِنّ الامر يستلزم تطويع هذه النظم، لاجتهاد أُولي العلم

١ــ يوم الاسلام: ص ١٨٩

الاسلاميين، لا تطويع الاسلام الشاهق الاحكام، بهذه النظم الأرضيّة، التي ثَبُت فسادُها واختلالها.

إننّا نُعلي من شأن هذه التشريعات والنظم، برفعها الى مستوى سماويّ النظرة إلهي التوجيه، ولانكون بهذا محمّلين الدين الخاتِم، إلاّ بعض ماأراده ونصّ عليه، من رعاية الاحوال ومصالح بني البشر»[1].

٦- وتقول الدكتورة سميرة مختار الليثي: «ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً: فتح باب الاجتهاد، إذ لم يعش الشيعة في قوقعة، بل اتّجهوا الى التطور والتطوير، وكان الإجتهاد هوسبيل ذلك ولابأس عندهم أن تنقسم الشيعة إلى فِرَق، وتجتهد كُلُ فرقة؛ وهم يستندون في ذلك على آية النفْر: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نَفَر من كُلِّ فرقةٍ منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين وليُنذِروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون»[2].

٧- وعلق الشيخ حسين معتوق على آية النفر بقوله: «وليس من المعقول أن يهمل القرآن أمراً مطابقاً لناموس الفطرة، ولاسيما في أحكام الشريعة، التي أُريدلها الاستمرار والبقاء ومسايرة الزمن ومتابعة تطور الامم، ومايستتبع ذلك من حوادث متجدّدةٍ، لايُمكن الاستظهار عليها ومعرفة حكمها إلاّ بعملية الاجتهاد»[3].

٨- وأخيراً، سيبقى الحديث عن الاجتهاد مُستمِرّاً، وعلى ألسنة الناس، وبتعابيرمختلفة؛ وسيبقى الداعون الى سدّه متمكّنين ذوي نفوذ منتشرين هنا وهناك، ولكن، ليبقى معلوماً: أنّه لن تقوم قائمةٌ، لاولئك العُصبَة الذين يؤمنون، بخلود الدين خلود الزمن؛ لن تقوم لهم قائمة إلاّ على اكتاف الاجتهاد، ومن لَدُن مجتهدين عدول

١- الدعوة «مجله مصرية»: العدد: ٣٨ ص ٤٠-٤١

٢- ينظر: سورة التوبة، آية ١٢٣، وجهادالشيعة: ص ٣٩٥-٣٩٦

٣- المرجعية الدينية العليا عندالشيعة الإماميّة: ص ٢٠



الخاتمة



وتـرجـنـا لـلامـام، ومـا آخصر مـاتـرجـنا، وما أبعد مافعلنا عن كسب الرّهان، في بلوغ ناصية المنال.

نـعـم،عـن المـنـال،لانّ الـصادق بحرٌ،والبحرُ عادةً لاينفذ ماؤه، فكيف ينفذ رواؤه؟

وإذا كـان الـتـقيم على مِلّة الاسلام، فهل الحديث عن الاسلام حديث ساعة؟ أم يوم؟ أم زمان؟ أم فوق كُلِّ زمانٍ ومكان؟!

نـعـم، وفـي مـثـل هـذا الـيـوم بـالـذّات، الذي قد يبدو فيه أنّ التاريخ يُعيد نفسه، مع اختلافٍ في الصورة لا الجوهر؛ حيث المظالم رُغم المـظـاهـر البرّاقة الخادعة، هي المظالم في تجاوز أحكام الله، والعيش على أكتاف النّاس، وإشاعة الفُرْقة بين أناس وأناس.

لأيّ شيـئ؟ ألـيـس الـرب واحـد؟ ألـيس العبد له هوالعبد؟ وهوالحرُّ بعد ذلك هوالحر؟

أمَـا كـفـانـا مـانحـن فيه؟أما كفانا عذاباً وتشتيتاً؟أما آن لنا أن نـتـقـرّبَ إلى الله بالتقارب فيما بيننا؛ وأن نضع يداً بيد، مع اولئك الرجال

العظام؛ من أمثال الشيخين: القمّي وشلتوت؛ شلتوت الذي قال: فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبيّة بغيرالحقّ لمذاهب معينةٍ، فما كان دين الله وماكانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب؛ فالكل مجتهدون مقبولون عندالله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم،والعمل بمايقرّرونه في فقههم، ولافرق في ذلك بين العبادات والمعاملات[1].

أما آن لأولئك أولئك الأسياد أن يفهموا: أن الدنيا ليس لها صاحب، وأن الظالم يوماً سيُبلى بأظلم، وأنّ الكلّ في الآخرة، سيقف بين يدي ربّ عادلٍ عادل.

ولم لانستفيد ونحن نقرأ الصادق، بعيداً عن التعصب، واحتكاماً الى الامانة والموضوعيّة؟ كيف أنه بحساب زمانه، وحساب الاجيال المتعاقبة، نجح وفاز وسَبَق؟

كيف أمكنه أن يُبرز مفهوم الإمامة،وعالم الإماميّة، واقعاً سلوكيّاً مرئيّاً؛ ليس فقط في مُهمة التبليغ والتدريس والتحديث والمناظرة والتي جَسَّدت لنا فيها كَيف أنه أَمَّ بالاسلام، في شريعته وأحكامه وأخلاقه ومبادئه، إلى الوجهة التي يُريدها الله لنا منها؟.

وأنه «حين كان يستنبط الأحكام الشرعية، من القرآن الحكيم وسنة جده رسول رب العالمين، تلبيةً لما كانت تطرحه الحياة الاجتماعية الجديدة، التي أوجدها التطور الاقتصادي والصناعي والاجتماعي والثقافي والسياسي و... و...؛ لم يكن يرمي الى وضع قواعد مذهب لفئةٍ معينةٍ؛ وإنّما كان يُقدّم لطُلاب العلم، ما أخذه عن آبائه، عن جده رسول الله.

وبتعبير أنصع وضوحاً: كان ينشر مذهب نبيّ الهدى والرّحمة بصيغ متطوّرة، لحاضرٍ ولمستقبلٍ اجتماعي متقدّم.

١ـ التقريب بين المذاهب: ص ١٥.

وبُرهاننا الجازم على أنّه كان ينشر مذهب الرسول: أنّ اصحاب المذاهب أخذوا عنه كما رأينا سابقاً، وبعد غياب الصادق نشأت المذاهب التي حرص على نشرها...»[1].

أجل، ليس في مهمة التبليغ فقط؛ وإنّما أيضاً كيف أنّه أمّ بالمسلمين، الملتزمين بخطه الاسلاميّ، نحوالحياة الفرديّة والعائليّة، ومساعيه الاجتماعية والدوليّة، التي كان لمحبيه أن يعيشوها، أو تلك التي يأملون أن يصلوا اليها، مهما طالت الايام؛ وما السنين والحُقَب، في عمرالزمن، اِن هي إلاساعات وأيّام.

وفي الختام، لايسعني إلاالقول: بأن محبّي الحقّ، سيظلّون غادين ورائحين، يهفون الى ضوء شُعلته، ويكفيهم بذلك فخراً، أنهم يكافحون للسير على درب صادقهم، كلٌّ حسبَ استطاعته، هدفاً في تحقيق اِمامة الاسلام والمسلمين، والسلام على مَنْ اتّبع السلام.

١- نهج الاسلام: السنة الاولى، العدد الرابع، ١٤٠١-١٩٨١ م، ص ٥٣؛ بحث: في ظلال الإسلام- مذهب الامام جعفرالصّادق، بقلم الاستاذ محمد علي أسبر.



الفهارس العامة

الفهرس الأوّل
في: الآيات القرآنية

النصّ	السورة	رقم الآية	الصفحة
أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأُولي الأَمرمنكم	النساء	٥٩	٣
آنا خيرٌمنه خلقتني من نار و خلقته من طين . . .	الآعراف	١٢	٢٩
اِنّا جعلناه قرآناً عر بيّاً لعلّكم تعقلون	الزُخرف	٣	٦٤
اِنّا آنزلناه قرآناً عر بيّاً لعلّكم تعقلون	يوسف	٢	٦٤
اِنّما يُر يدُ الله ليُذهِبَ عنكم الرِّجس آهل البيت	الآحزاب	٣٣	٣
وماآرسلنا من رسولٍ اِلاّ بلسانِ قومه	اِبراهيم	٤	٦٤
وما كان المؤمنون لينفروا كافّة	التو بة	١٢٣	٦٧
ياآيّتها النفس المطمئنّةُ اِرجعي اِلى ر بّك راضيةً مرضيةً	الفجر	٢٧-٢٨	١٧

الفهرس الثاني
في: الآحاديث الإِسلاميّة

النصّ	الصفحة
اِجلس، فإِذا غلامٌ صغير	٣٣
اِحذر من الناس ثلاثة: الخائن، و...	٥٠
اِرجعا، فما كنت بالذي أبخلُ بنفسي وبكما عنه..	١٩
أكملُ الناس عقلاً أحسَنُهم خُلُقاً.	٤٩
أنتم ــ يريد أهل الكوفة ــ تقولون كذا.	٤٠
إِنّ الثواب على قدر العقل	٤٩
إِنّ الحسد يأكُلُ الإِيمان كما تأكل النارُ الحطب	٥٠

إنَّ اللّه بعدله وقِسطِهِ جعل الروح	٥٠
إنّما الأعمال بالنيّات	٢٧
إنّ مَن أجاب على كُلّ مايُسأل لمجنون	٥١
أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة	٥٠
أوّل من قاس أمر الدين برأيه إبليس	٢٩
أيّهما أعظم الصلاة أم الصوم؟	٢٩
أيهما أعظم قتل النفس أوالزنا؟	٢٩
ثلاثة أشياء يحتاج اليها الناس طُرّاً	٥١
ثلاثة تكدّر العيش: السلطان،...	٥١
ثلاثةٌ من كُنّ فيه استكمل الإيمان...	٥٠
حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي	٤٧
العلماء أُمناء، والأتقياء حصون...	٥٠
كلّكم راعٍ و كلكم مسؤول عن رعيّته	١٩
كمالُ العقل في ثلاث: التواضع للّه	٤٩
لا، لأنّ معي خيرٌمما هو معك	٣٣
لا تشعروا قلوبكم الإشتغال بما قد فات	٥٠
لا تفتّش الناس فتبقى بلا صديق	٥١
لايقبل اللّه عَمَلاً إلاّ بمعرفة	٥٠
لوكان الأمر كما يقولُ هؤلاء	٣٥
لِيقُل: كم هي...	٣٢
مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري	٢٦
مامِن أحدٍ يتيه إلاّ من ذِلّة في نفسه	٥٠
مَن أنصف الناس من نفسه رُضي به	٥٠
مِن حقيقة الإيمان أنْ تُؤثر الحقّ...	٥١
مَن فرّط تورّط ومن خاف العاقبة...	٥٠
مَن هذا الذي مَعَك	٢٩

المؤمن يُداري و لايُماري	٥١
مَن يريد الدنيا لايصحبک...	١٩
نحن صفوةُ اللّه من خلقه	٢٤
هم في النار اَشغل	٢٤
وُلِدَ اَبو عبد اللّه جعفر الصادق	١٧
ولدني اَبو بكرٍ مرّتين	١٢

الفهرس الثالث
في: آسماء الاعلام

اسم العلم	الصفحة
(أ)	
آبان بن تغلب:	٤٧، ٤٨
إبراهيم بن الوليد:	٢٥
إبليس:	٢٩
إبن آبي العوجاء:	٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٨
إبن آبي ليلى:	٢٨، ٢٩
إبن إدر يس:	٦١
إبن اسحاق:	٤٥
إبن بابو يه القمّي:	٤٨

اِبن جُر يج: ٤٥، ٤٦، ٤٨
اِبن جر ير:
اِبن حجر: ٤٥
اِبن زُرارة: ٤٧
اِبن شبرمة: ٢٨، ٢٩
اِبن الصباغ ← علي بن آحمد المالكي
اِبن عُيينة: ٤٨
اِبن معين: ٤٥
اِبن المقّع: ٣٤
اِبن منظور: ٥٨
اَبو بكر: ١٢
اَبو جعفر المنصور الدوانيقي: ١٨، ١٩، ٢٦، ٣١، ٣٣، ٤٠
اَبوالحسن المُجتبى ← علي بن آبي طالب
اَبوحاتم الذهبي ٤٥
اَبو حنيفة النعمان: ٢٨، ٢٩، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٨
اَبو سَلَمة الخَلاّل: ٢٦
اَبو شاكر الدّيصاني: ٣٢، ٣٣
اَبو العبّاس السفّاح ← عبدالله بن علي
أبعبده خليفة اليسوعي: ٤٣
اَبو عبدالله ← جعفر بن محمد الصادق
اَبو مسلم الخراساني: ٢٥
اَبو موسى ← جابر بن حيان
اَبو نعيم: ٢٢
ابي عبدالله ← جعفر بن محمد الصادق
اَحمد آمين: ٦٦

اَخ زُرارة بن اَعين: ٤٧
أُسامة بن ز يد التنوخيّ: ٢٣
اَسماء بنت عبدالرحمٰن: ١٢
اُمّ فروة ← فاطمة بنت القاسم
اَمير المؤمنين ← عليّ بن اَبي طالب
اَيّوب السجستاني: ٤٥، ٤٨

(ب)

البتول ← فاطمة بنت محمد
البخاريّ: ٤٧
بطرس البستاني: ٤٣

(ث)

الثوريّ: ٤٥، ٤٨

(ج)

جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي (اَبوموسى) ٤٢، ٤٣
الجعد بن دِرهم: ٣٢
جعفر بن الحسن المحقّق الحُلّي: ٤٨
جعفر بن محمد الصادق: ١١، ١٣، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٧١

جمال الدّين الأَفغاني ٦٤، ٦٥
جمال الكلبايكاني: ٥٩
جمال بن درّاج النخعيّ ٤٧
الجوهريّ ٥٨

(ح)

حاتم بن إِسماعيل: ٤٥
الحارث بن مغيرة: ٤٧
حامد حفني داوود: ٤٤
حبّابة المُغنّية: ٢٤
الحجّاج بن يوسف الثقفيّ: ٢٢
الحُجّة المنتظر الإمام الثاني عشرعجّل اللهفرجه: ٥٦
الحسن البصري: ٢٢
الحسن بن عليّ المُجتبى: ٤٧، ٥٦
الحسين بن علي أبوالشهداء: ١٢، ٤٧، ٥٦
حسين علي محفوظ: ٤٨
الحسن بن عيّاش: ٤٥
حسين معتوق: ٦٧
حفص بن غياث: ٤٥
الحِمار ← مروان
حمّاد بن عثمان: ٤٧
الحنفي البسطامي: ٤٥

(خ)

الخفاجيّ: ٤٥
خلاّف: ٦٠، ٦٢
خيرالدين الزركلي: ٤٢

(د)

الدار وردي: ٤٥

الديصاني ← أبوشاكر

(ذ)

الذهبي: ٤٥

(ر)

الربيع: ٣٣

رسول الله ← محمد بن عبدالله

رشيد رضا: ٦٥

الرفاعي: ٤٥

رمضان لاوند: ٣١، ٣٨، ٤٢، ٥١

(ز)

زُرارة بن أعين: ٤٧

زيد بن علي الشهيد: ٢٤، ٤٠

زين العابدين ← عليّ بن الحسين

(س)

سعد الشنّاوي: ٦٦

السفيانيّان: ٤٥

السفّاح ← عبدالله بن علي

سليمان بن بلال ٤٥

سليمان بن عبدالملک: ٢٣

سميرة مختار الليثيّ: ٦٧

سهيل زكّار: ٤٤

سيّد الساجدين ← علي بن الحسين

(ش)

الشافعي: ٤٥، ٦٦
ش__سامي: ٤١
شُعبة: ٤٥، ٤٨
شلتوت ← محمود شلتوت

(ص)

الصادق ← جعفر بن محمد

(ط)

الطوسيّ: ٦١

(ع)

عارف ثامر: ٤٣
عاصم: ٢٢
عبدالرحمان بن اَبي بكر: ١٢
عبدالعزيز سيّد الأهل: ٤٢
عبدالعزيز بن موسى: ٢٣
عبداللّه بن اَسعد اليافعيّ: ٣٨
عبداللّه بن جعفر الصادق: ١٩
عبداللّه بن الزبير: ٢٢
عبداللّه بن علي السفّاح: ١٨، ٢٦
عبداللّه بن المقفّع: ٣٤
عبدالملک بن مروان: ١٨، ٢٢، ٢٤
عبدالوهاب الثقفيّ: ٤٥
عطاء بن اَبي رباح: ٤٥
علي بن اَبي طالب المُرتضى: ١٢، ٣٨، ٤٧، ٥٦

علي بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ ٤١
علي بن الحسين زين العابدين: ١٢، ١٤، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٤٣، ٤٧
علي بن يقطين: ٤٧
عمر بن عبدالعزيز: ٢٣، ٢٤
عمرو بن حنظله: ٤٧
عمرو بن المقدام: ٤٠

(ف)

فاطمة الزهراء البتول: ١٢
فاطمة بنت القاسم: ١٢، ١٤
الفرزدق: ٢٤
فرعون: ٢٥

(ق)

القاسم بن محمد: ١٢
القُرماني: ٢٣
قَطَن مولى يزيد الناقص: ٢٥
القُمّي ← محمد تقي القمّي:

(ك)

الكُليني ← محمد بن يعقوب:
كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: ٤١، ٤٨

(م)

مالك بن أنس: ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨،
المُجتبى ← الحسن بن عليّ
مُحسن الحكيم: ٦٣
المُحقِّق الحُلّي نجم الدين ← جعفر بن الحسن

محمد بن آبي بكر: ١٢
محمد آمين البغدادي السُّو يديّ: ٣٨، ٤١
محمد تقي الحكيم: ٦٠
محمد تقي القمّي: ٧٢
محمد ذوالنفس الزكيّة: ١٩
محمد عبده: ٦٥
محمد بن عبدالكريم الشهرستاني: ٤١
محمد بن عبدالله رسول الله: ٧، ١٢، ١٤، ٢٩، ٤٧، ٥٦، ٦٤، ٧٣
محـمـد بـن عـلـي الـبـاقـر: ١٢، ١٤، ٢٤، ٤٣، ٤٧
محمد فر يد وجدي: ٣٨، ٤٢
محدم بن المُكَنْدَر: ٤٥
محمد بن يعقوب الكُليني: ٤٨
محمود شلتوت: ٧٢
المخزوميّ: ٦٤
مروان بن محمد الحِمار: ٢٥
مـــــــعــــــــاذ ٥٨
معاو يةبن آبي‌سفيان ٢٤
معاو ية بن عمّار: ٤٧
المعلّى بن خُنيس: ٤٧
المفضّل بن آبي العوجاء ← ابن ابى العوجاء
المفضّل ين عمر الجُّعفي الكوفي: ٣٥، ٤٧
المقدسيّ: ٤٥
موسى بن جعفر الكاظم: ١٩، ٥٦.

موسى بن نُصير: ٢٣
مؤمن الطاق: ٤٧
مير علي الهنديّ: ٣٨

(ن)

النّاقص ← يز يد بن الوليد
النبي المصطفى ← محمد بن عبدالله
النعمان ← اَبو حنيفة
النيسابوري: ٢٣

(هـ)

هشام بن عبدالملک: ٢٤
هشام الغوطيّ: ٥٦
الهنديّ: ٣١، ٣٣

(و)

الوشّاء:
الوليد بن عبدالملک: ٢٢
الوليد بن يز يد بن عبدالملک: ٢٥
وهيب بن خالد: ٤٥

(ى)

يحيى بن ز يد: ٢٥
يحيى بن سعيد الانصاري: ٤٥، ٤٨
يز يد بن عبدالملک: ٢٤
يز يد بن معاو ية: ٢٢
يز يد بن الوليد الناقص: ٢٥
يعقوب: ٢٣

الفهرس الرابع
في: أسماء البلدان

١ ــ الإسكندرية: ٣١

٢ ــ بغداد: ٤١

٣ ــ الجوزجان: ٢٥

٤ ــ خراسان: ٢٥

٥ ــ دمشق: ٢٤

٦ ــ الرَّها: ٣١

٧ ــ الشام: ٢٢

٨ ــ قِنَّسرين: ٣١

٩ ــ الكوفة: ٤٠، ٤٥

١٠ ــ المدينة المنوّرة: ١٤، ٢٢

١١ــــ مصر: ٢٣

١٢ــــ مكّة:

الفهرس الخامس
في: كتب المتن

اسم الكتاب	الصفحة
الاستبصار:	٤٨
أمل الآمل:	٤٦
تأريخ القُرماني:	٢٣
تنقيح المقال:	٤٦
تهذيب الاحكام:	٤٨
توحيد المفضّل:	٣٠، ٣٦
الجفر:	٤٣
دلائل الإمامة:	٢٣
رجال بحر العلوم:	٤٦

رجال العلاّمة:	٤٦
رجال الكشي:	٤٦
رجال المحقّق:	٤٦
رجال النجاشي:	٤٦
رسائل الصادق:	٤٣
روضات الجنّات:	٤٦
روضة الواعظين:	٢٣
الر ياض:	٤٦
صحيح البخاري:	٤٧
صواعق ابن حجر:	٢٣
الفصول المهمة:	٢٣
فقيه مَن لايحضره الفقيه	٤٨
الفهرست	٤٦
قاموس الرجال	٤٦
الكافي	٤٨
لؤلؤة البحرين	٤٦
معجم رجال الحديث	٤٦
نقد الرجال	٤٦

الفهرس السادس
في: مراجع البحث

الآداب السلطانية لابن الطقطقي
الإتحاف بحبّ الأشراف
الإجتهاد أُصوله وأحكامه للسيّد محمد بحر العلوم
الإحتجاج للطبرسي
الأُصول العامّه للفقه المقارن
أُصول الكافي للكُليني
الإستبصار في ما اختلف من الاخبار
إعتقادات فرق المسلمين والمُشركين
الأعلام للزركلي

أعيان الشيعة للعاملي
الإمام الصادق لأبي زهره
الإمام الصادق علم وعقيدة لرمضان لاوند
الإمام الصادق مُلهم الكيمياء للهاشميّ
الإمام الصادق و المذاهب الأربعة لأسد حيد
الإمام الصادق للمظفّر
الإنافة في مآثر الخلافة
البحار للمجلسيّ
البدء والتاريخ للمقدسيّ
تأريخ ابن خلدون
تأريخ ابن عساكر
تأريخ ابن كثير ← الكامل
تأريخ أبي الفداء
تأريخ الإسلام للذهبي
تأريخ بغداد
تأريخ الجهشياري
تأريخ الخميس
تأريخ الطبري
تأريخ العرب
تأريخ اليعقوبي
التُّحفة اللّطيفة للسّخاوي
تذكرة الحُفاظ للذّهبي
التشريع الإسلامي للخُضريّ
تقريب التهذيب
التهذيب لابن عساكر

تهذيب التهذيب
تهذيب الاسماء
جامع مسانيد آبي حنيفة
جر يدة الثورة البغدادية (صحيفة يومية)
جعفر بن محمد لسيّد الآهل
الجمع بين رجال الصحيحين
جهاد الشيعة للدكتورة سميرة اللّيثي
جوامع السيرة
جواهر الكلام لابن وهيب
حُلية الآولياء
الحور العين لابن نشوان
حياة الامام الصادق للسُّبيتي
خاطرات جمال الدين للمخزومي
خُلاصة الكمال
دائرة المعارف الإسلاميّة
دائرة معارف القرن الرابع عرش لوجدي
الدرّة الثمينة لابن النجّار
الدعوة (مجله مصر يّة)
الدولة العر بيّة الإسلاميّة
رسائل الجاحظ للسندو بي
رسائل الدكتور الكيّالي في الإمام الصادق
زهر الآداب للحُصَري
ز يد الشهيد للمُقَرّم
سبائک الذهب للسو يدي
سرح العيون لابن نباته

سمط النجوم العوالي
شذرات الذهب لابن العماد
شرح الشفاء
شرح المواهب للزرقاني
الصادق للمظفّر
صِحاح الأَخبار
صحيح الأَخبار
صحيح مسلم
صفوة الصفوة لابن الجوزي
الصواعِق المحرقة
طبقات بن سعد
الطبقات الكبرى للشعراني
العقد الفر يد لابن عبد ر به
عقيدة الشيعة الإِماميّة للحجّة هاشم معروف
عيون الأَدب و السياسة لعلي بن عبدالرحمان بن هُذيل
غاية الإِختصار
الفصُول المهمّة لابن ألصبّاغ المالكي
الفهرست للشيخ الطوسي
الفهرست لابن النديم
قاموس الأَعلام لسامي
القرآن الكريم لرب العالمين
الكامل لابن الا ثير
كتاب الأَلفين بين الصدق و المين للحُلّي
لسان الميزان لابن حجر
مختصر تار يخ البُلدان لابن الفقيه

مختصر التُّحفة الاثني عشريّة
مرآة الجنان
المرجعيّة الدينيّة العُليا عند الشيعة الإماميّه
مروج الذّهب للمسعودي
مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي
مقاتل الطالبيّين
مقدمة كتاب الهُفَت والاَظِلّة
المِلَل والنّحِل للشهرستاني
مناقب اَبي حنيفه للموفّق
المناقب لابن شهر اشوب
مناقب الإمام اَبي حنيفة للمكّي
مناهج التوسّل
من تأريخ الإلحاد للأُستاذ بدويّ
ميزان الإعتدال
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي
نهج الإسلام (مجلّة سوريّة)
نورالابصار للشبلنجي
الوجيزة للشيخ البهائي
وفيات الاعيان لابْن خلّكان

الفهرس السابع
في: مواضيع الكتاب

من القرآن الكريم: ٣

المقدمة: ٥ـ٨

١ ــ العصر عصر آمل: ٧

٢ ــ إستهداف رضا الله: ٧

٣ ــ توحيد المُساهمة ماآمكن: ٨

٤ ــ صعوبة التجّرد وامكانيّة التغيير: ٨

٥ ــ ملخص آبواب الكتاب: ٨

الفصل الآوّل في ترجمة الإمام ٩ ــ ٥٢

الحقل الآول: في نسبه ١١

الحقل الثاني: في تربيته ١٣
الحقل الثالث: في عصره ١٧
(١) تحديد زمانه: ١٧
(٢) بين عهدين: ١٨
(٣) موقفه السياسي: ١٨
(٤) دوره الثقافي: ٢٨
الحقل الرابع: في علميته ٣٧
(١) مجمل علومه: ٣٧
(٢) مماقيل بحقه: ٣٩
(٣) من مشهوري حَمَلة علمه: ٤٤
(٤) المخّلدون بخلوده: ٤٦
(٥) من مختار كلماته: ٤٧
الفصل الثاني ـ في إِمامة الإِجتهاد ٥٣ ـ ٦٨
الحقل الاول ـ في إِمامة الاجتهاد ٥٥
الحقل الثاني ـ في الإِجتهاد وأَبعاده ٥٨
الحقل الثالث ـ في سدّ باب الاجتهاد ٦٠
الحقل الرابع ـ في اقوال دعاة الفتح ٦٤
الخاتمة ٦٩
(١) مساندة دعوة التقريب: ٧٢
(٢) مهمة الإِمامة ملخّصة: ٧٣
(٣) الشُّعلة دائمة مُتلهّبة: ٧٣
الفهارس الفنية
الفهرس الاول ـ في الآيات القرآنية ٧٧
الفهرس الثانى ـ في الأَحاديث الإِسلاميّة ٧٨
الفهرس الثالث ـ في أَسماء الأَعلام ٨١

الفهرس الرابع ـــ في أسماء البلدان ٩٠
الفهرس الخامس ـــ في كتب المتن ٩٢
الفهرس السادس ـــ في مراجع البحث ٩٤
الفهرس السابع ـــ في مواضيع الكتاب ٩٩